

A. U. B. LIBRARY

الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

وداداً وتقديراً

س

١٢٨٨

طایغور

قُرْبَانِ الْاِغَاثِ

نقشہ

بازن من ورتشہ طایغور

یوحنا قمیر

حدیثہ طایغور

۱۶۴۸ - ۷۸۷۷

نال هذا الديوان جائزة نوبل ،

شعركم يعلو

وطبع ، سنة ظهوره ، ١٤ طبعة .

يُدعى رايندرا - وتفسيره الشمس -
لأنه محبوب العالم، وسيتدي الناس نوره .

والد الشاعر «الفديس»

دافندرا مات طاغور .

فلسفة العرب :

ابن الفارض
ابو الهيثم المعري
ابو حنيفة
ابو حنيفة

النقل صراع بين اثنين ، بين الامانة والمصل وصفاء لغة النافل ، او قل
بين المؤلف والناقل .

والناقل بعد ، حين يترتب مثل هذا الدبوانه ، يحتاج الى بصيرة بمحو
الالفاظ ، وتقم النطيع ، كي لا يفقد الاصل ابحاء البعب ، وإبقائه السوي ،
ويحتاج الى قهرهم المرعى ، ونقل الادرام ، دونه ان يسوة اصلا ، او
بفرض تأويله .

تلك غيبات لا قبلنا منها مما ، وعانينا في تدبيرها صعبا . وكما صرنا
نلقي العلم ، ونسرى عن قل الفن . وكانت التجربة زداد قوة وإطاماً ، كلما
ازدادنا بالنقل غناية وتثديا .

ولكنه افتناع بنفع ما نعمل نعلب على التجربة . وانها منعة الفن وقتنا
اليأس ، وجئت بالغا .

عسى نفس المنعة تقربى الزاهد ، وتقتن الوافي . وعسى سحر الطريق
بمحو العين ، ويحجب الرهات .

طشاور

١٨٦١ - ١٩٤١

«لاد طغور» ، واسمه «عرب» ، وشيخه «الحمة» مجهول . لاد «حسن» اعجز من ان تعرفك ب«طغور» ، من ان يحس لك عذره فيه ، وغني فكره ، ومن ان يطعن على كل ما ادع وشاد .

«اد» هي هدت معثرة ، جمعها من مقدمة او مقل ، «عب» تعريك للاستزادة ، و«همة» في درس طغور .

وكذا اقتصرنا على هذه احدث ، وفي النفس عصاة . ولكنه حسن الصانع ، «اد» بدعة نحس ليد «ذكريت» «طغور» !

«ذكريت» طغور هذه كذب للشعر روى فيه احداث حياته الخارجية ، وقصة نكوبه لفي . في يوم وعت النفس كل ما فيها ، وبلغ الشعور دري ضجه . لقد كتب طغور «ذكريت» هذه سنة ١٩١٢ ، السنة نفسها التي شر فيها «فرمان الاغاني» !

«اذ» ما عرصه عيبك مريح من تلك احدث المجموعة ، ومن هذه «الذكريت» وهو ان لم يور كل العلة ، ويسنوعب كل صغور ، فانه

يوت انتون وابيدور ، ويوت جديورا عدت العصى وارهر ، فكان الشعر
الشعي ، وكان هذا الديوان .

في كلك ، في الهندس من يرد سنة ١٨٦١ ، ولد ريدورا دت طدور .
وكان اسرة صغور من شهر الاسر السعدية عسى وعسى وجهاً .
كان جدّه من اكبر مشجعي الآداب والموسى ، وكان اوه من مجتدي
الدير البرهي ، وكان جوه العدي جو موسيقى وشعر .

درج صغور عصى الصنع ، عور من كل صم ، فشق على طبعه
المرح جو مدرسة الفم ، وجو ادرس صاً . ولد جدّ الاهل ، ورستوه
اي اندارس ، وابوه رلاسنده اي اسن ، وبعضى بعضهم احباً عبيمه ،
ولم رلسعالية ، لغة ملايه ، ثم رلاكنيزية ، لغة حاكمس .

وحدث صغور عم لاه من عده في درس رلاكنيزية ، كما انه
يشكر حده ادي درسه السعدية اولاً . على الصي ان يقتبس العلم ،
كما يسوي الجسد العده . ان شهوه الاكل ، دا استبقصت عند اول
لقمة ، بد عمر معدة فم ملاه النص ، وبد فرد سوش اعصم . وان
ما يحدث لهضي السعدى هو عكس ذلك ، حين يقمونه العلم بلغة رلاكنيزية .
ان اول لقمة جمع فكه ، ويشور العلم لدى هذ الصم . ولا ياتي رمن
يدري فيه الصي ان ما يقمونه ايه ما يكن حجر ، بل طعماً سائداً ،
الا ويكون نصف عمره الفضى . وان تنقبى العلم رلاكنيزية كان قد
طفى على شمس اهدة ، ولكنه احى انكث هو الذي تنكر للزعة ،
ودفع الى استعمال لغة الحصة في اقدس العلوم .

وحرص احي طغور هذا على اللغة السعلية كان مظهرآ من مصدر
 حبه لبلاده ، يوم ، يكن استقون في اهد بانون لمقتهم ، او يأمون
 لترانهم الفكري . وان الوالد كان قد عدا في الاولاد هذا الحب ، عدا
 بأقول وامل . ارس له مرة بسبب هندي رسالة ، لانكليزية ، وردتها حالا !
 وان صاغور كان مبدآ طائشآ حقآ ، او قل انه كان روحآ عيبآ ،
 ودرهآ حاصآ ، وطبعآ غيبآ ، فم يجد في مام من مدارس العداء الصالح
 الملائم ، وم يقو على الاصعاء لاستد ، او الانكباب على كتب . وانهم
 اسندته في البيت ، وانه اوه واحوته ، وانهم اصده الاسرة الادب ، هم
 الدين نعدونوا على نفسه . ولكن صاغور لم يدهر خامسة عشرة ، وبشعر
 ببعض اعدرة على انحر ، حتى جمع ادم كل تيم ، وهر من لاصعاء
 لاستد ، حتى فقط منه احوته ، ومضوا من مستقبه !
 ولكن انه اعد عنه الكثرة ، حين مع الساعة عشرة ، وارسله الى
 اسكتوا ، ليدرس فيها الحقوق .

وصد صاغور سم اوحشه ، كما لاقى العصف والاباس ، ولكن اس
 له ان يرم النفس على عم جوف ، وان يصرف الى درس الحقوق :
 وان صاغور قد صرف ، في اسكتوا الى شؤوب حري !

لقد حارب في ما جرب درس اللاتينية . وان الاستد قد اعراه اكثر
 من اللغة . دائ ان اجمع كانوا سطورون الى هذا الاستد نظرة ادرى .
 لانه كان يدعو الى نظرية فسفيه ، هذا لها . في حقب مخدرة من احقب
 التاريخ ، نلد فجأة فكرة واحدة لدى كل الجمعات البشرية ، مرتديه مظهر
 مختلفه تتلام ومسنواهم الحصري ، وذلك دور سابق صلة بين الجمعات
 او الافراد . وان صاغور قد وعى هذه النظرية ، وآمن الى حد بصحتها ،
 ولكنه لم يعر شيئ من اللغة اللاتينية . وقد ألح كثيراً على استده كي

بقض أجره مه ، لان الامتاد رأى بصراحة انه اضاع وقت تميزه ا
وان طاعور قد اقل ، في اكلترا ، على درس ادائها ، على مطالعة
شكبير وملتون وبيرون . ويلاحظ شعرة ، بعد ذاك ، ان الأدب
الانكليزي كان يثير شعوره ، اكثر من بعده ، وان ما كان يفره مه
هو وصف الشهوات الثائرة . « ان الاعتدال ، صانع الحق الحقيقي ، لم يبع
بعد الادب الانكليزي . ان الشعور احد عناصر التأليف الفني ، لا موضوعه .
ان هذا الموضوع يخل غمي حصب ، لا نكلف فيه ولا تطرف . »

واهم طاعور ايضاً للموسيقى ، او فل للعداء . وله مقدرة طريفة بين
العداء الاوربي وعداء امد ، ثبت لك بعض مقاطعها ، لما بين العداء اهدي
وغناث من شبه . قال طاعور ، بعد سماع احدى المصنعات الشهيرات :
« لقد سمعت ، لأول مرة ، عداء لا التواء فيه ، ولا اجهاد نفس . ان امر
مفتيد لا يقوى على احفاء جهده ، ولا بجشى صرخة العداحة ، او الحقة
اهامسة ، وان لم يقو صوته على ذلك او بين له . ان العارفين ، اصول
العداء ، في بلادنا ، يتعاصون بسهولة عم في الاحراج اصوتي من نقص ،
عما في الصوت من جده ، او في حركات امعي من تدهر ، بل قد يرون
في هذه الهبات وسبة لاصهار حمل المشيد ... ولكن شيئاً من هذا لا
يعرفه الاوربيون . اهم بدلون امعي بالانقن الكلي ، حتى في دفاع
الاحراج ، وبعثون اقل نقص في عدائه مانعاً له من الظهور امام الناس ...
هما نحن ان نسمع الاغنية ، اما في اورب فيهمهم نسمع امعي ...

« على اني لا ارال اعتقد حتى اليوم ان الموسيقى الاوربية وموسيقانا
يقطبان امصارا متباعدة ، ويلحدن القلوب من ابواب مختلفة . يبدو لي
ان الموسيقى ، في اورب ، صدى الواقع ، وهذا تنوع اعابيه تنوع
الحياة ... اما غرض اعابيه فهو الولوج الى حفايا الروح ، الى صميمها

المجهول . هناك يجد العبد هيكه ، واللاهي جتته ، ام رجل المتاجر فلا
يجد موطناً لتقديمه .

ام طاغور في انكلترا سه وبعض السنة ، درس فيها ادبا ، واصفى
الى غناء ، ولكنه لم يدرس ما لاجله مضى .

ويعود طاغور الى وطنه ، وقد حبب آخر امل من آمل ابنه ،
وخاب كل امل له في ارضاء اهله .

§ § §

على ان بدأ حفيّة كانت تقود طاغور ، هي يد العن والبروغ . ان
طاغور ، حين كان يشور على كل قيد ، وبعض كل نوجيه ، كان يلتي دعوة
طبيعته الخاصة ، دعوة العتن . وان الطبيعة ، اذا دعت ، الحنت ، وفهرت ،
واستبدت . ان دعور احسن ، مدصعره ، بميل فطري الى الشعر ، وانه ،
اد تحرر من كل سلطان ، لم يقدر على التحرر من هذا انيل ، بل كان
يسير معه ، ويسبقه ، شبه في ذلك شأن كل فتن موهوب .

§ § §

كان دعور ابن ثمن ، يوم دعه احد رفقاه ، وعلمه وره من وران
الشعر ، وحته على النظم .

وبدا لصي السظم ، وافنى دفتراً ارقق اللون ، وملاء صفحة صفحة .
وكان يشد فصائده امله ، وكان يزعمهم بشده ، وكان اخوه البكر
يشطروه اعجبه يفنه ، ويصفره على ارجاح الساس . لقد كان يحمل يومذاك
كل شعره في يده ، لقد كان « اشاعر » والصانع ، والناشر ، وكان اخوه
يقوم «عبء الدعاة !»

وقد كانت الدعية ناحية، وبدأ طغور يتوعى نظر عض اسانته،
وبدا تدرن نحت ارشدهم . وكان صوت طغور حملاً، فكان ينظم
الاناشيد، ثم يغتبطها .

وسر طغور في هذا السبل، يصالح ما يجد من ادب، ويرافق من
يتدوق الشعر او يحيد العناء، ويصطم ما يعرض له من خواطر، وهمه
الاكبر ان يضارع كبار الشعراء .

ثم اتى دور الظهور بين الدس، فشر قصائد في محلة شهرية، ثم نشر
مقالات نقدية . وبشوق طغور من يد تجمع هذه القصائد، وعرضها على
الدس يوم الحساب، كما انه يشكر الله، لان امواج السبان الرؤوف
طلت دفتره الاررق، ونحته من حطر الظهور في وادي الدموع هذا .
ثم يؤسس احوه (جيوتيرندرا) محلة، ويهبه احد اعضاء التحرير فيه .
وكان طغور في السادسة عشرة، فاندفع - ككل شيء - بطلب الشهرة
عن حريق النقد الخارج، او بطلبها في قصائد بشرها على الدس .

ثم يتعمس له احد الاصدقاء، فيشر له شيداً اعجبه به قصة شاعر .
ويأسف طغور على ما نكتهه البشر من حسارة، كما يرى ان . ببطه
شاعر في مثل عمره لا يمكن ان يكون صالحاً للبشر . « ما من رب في
بدم مؤلف، ومن الصبح، على ما يكون قد نشره ومن الصبي . »

واثناء ذلك - فر طغور الى اكثرا، ثم عاد، ومن الذهب والاياب،
نظم قصيدة جديدة : « القلب الكبير » . ورأيه في قصيدته هذه ان
الطلال لا تزال تطلعي على اوار الحق، وان حظ العوض والوهم
فيها كبير .

ثم يكتب طغور ثلاث مسرحيات للعداء، ويتعاون مع ابيه
جيوتيرندرا على وضع الحان، تنوحي في بعضها الاخان الاوربية . وكان

طاعور ثم في روايته هذه ، وكان بلا في دثماً الاعجب
ويبيع طاعور العشرين ، وهو يندفق حدة ، وشعراً ، وعدة ، ويرج
في جو حر طليق .

وهذا يخطو الشعر حصوة جريئة في فيه ، فيتحرر من كل تقليد في
الشعر ، ويؤخذ مسيرة ادواق الدس ، واثارة اعدهم ، ويندفع بظلم دون
تكلف او تصنع ، ودون تقيد بالوف الاوراب . ون حير ما نطبه في
هذه الحلقة قد جمع في ديون داعي الله .

ويرى طاعور ان داعي الله تنفتح بعد بفتح الواقع ، بل هي
صدي لحار شروء ، وشعور لا يعرف سباً او هدفاً . وان الدس قد
رأوا فيها ثمرات شعر ، شوق العموس ، وهوود اذقة . ولا ينحصر
طاعور غموصه ، ولكنه ربي ان يكون تعمده عمداً . وليس الغموص
عريباً عن الطبيعة ، بل هو حد اصواره . وليس ينحه شطر الحق في
الادب ، من يسكر الشعر على لا يبع الوضوح الكامل . انه حين يعتبر
الشعر تعبيراً صحيحاً عن صور من اطوار حياته ، فهذا التعبير جدير
بالبقاء . التقصير في التعبير وحده عيب . والجريئة ، في الادب ، ليست في
الحالة النفسية ، بل في قصور التعبير عن وصف تلك الحالة .

ثم يخطو طاعور خطوة ثانية ، وهو عور فيه عالم ، وبلد آخر .
كان شعره ينمشي على سطح منه ، وكانت شمس الغروب تبتون
الارض واشفق ناصع و صاع ، واداه يدهن عن نفسه ، وبأحد عليه
هذا امشهد كل وعه ، فتراى له كل ما في الكون من جوار وحمل ،
ويرى ان لا شيء يصل في هذا العم ، وان امواج الفرح تنفجر من كل
واحيه . عاب عنه شعصه ، وبسي نفسه ، فظهر له العالم في مظهره
الحقيقي لغتاً .

على اثر هذه الرؤيا ، كتب صعور ، دفعة واحدة ، قصيدته « بقصة
 الشلال » . ثم تبدلت نظرته الى الناس فلم يعد يأنه لتواحي المقص فيهم ،
 بل اصبح يرى فيهم الانسان ، ويرى جزءاً من هذا الكون ، ويرى ما
 بينه وبينهم من سب . وهكذا اصبح يستقبل عرج من كان يكره
 بالامس بجالسته ، وتحرر من كل ما كان يصطعه مع الناس من كذب
 ومن رياء . ان العدم ظهر له في وحدته الشاملة ، وصحح لاسن ، وما كان
 الاسن ، واعمل الاسن ، ككبريات الخن واحد : « الصديق يسم
 لصديقه ، والام تلاعب صفها ، والبقرة انصبجة تعص حصره جردن ،
 ووراء هذا كله كبن لا محدود ينص النفس اتصالاً وثيقاً ، اتصالاً يكاد
 يكون مؤناً . »

في هذا الجو من الشعور ، صم صعور مجموعة شعرية جديدة .
 « اعلي الصباح » . وقد عتق ، بعد ذلك ، على هذه المجموعة فقال : « ان
 الانسان ، اذا ما بلغ حداً من العمر ، رأى العالم فارغاً ، وان كل شيء
 في فيه ان هذا القلب يستيقظ ، وفيه هم ملوح الى استيذاب العالم
 بين طباته . ثم يجري ارمي ، واذا بالانسان يميز بين ما يجتاح اليه ، وما
 لا يجتاح .. ان سحر بل العدم كله ، لم يزل شيئاً . ان ان تقا الى شيء
 محدود ، وتزغ الى هدف معين ، لاح لب حيث منعد الولوج الى
 اللامنهدي . »

ان صعور حين كان صبياً في عهدة الخدم ، كان كالسحبي بين جدران
 البيت ، وكان حادته بجملة حوله دائرة ، ويجرم عليه الخروج منها ، وكان
 هو يتم في سجنه هدين ، ويحن الى اهواء الطلق ، والى المرح خارج
 الدار . وانه قد شعر بعصاة فائقة ، يوم دعاه ابيه كي يرافقه الى جبل
 حملايا ، يوم انخرجه من كهف الى قبة .

واما نفس العنقة فد حالت فؤاد طغور ، يوم خرج من عيشه
الداخلي ، ومن سحن قلبه وشححه ، يوم نداعت الحواجز بينه وبين هذا
الكون ، ورأى ما بينهما من صلات ، واحسن ثما يجمعها من هيم ، وعنى
« اعاني الصباح . »

وان آخر اعاني الصباح هذه قصيدة عواها « الصدى » وقد كانت
هذه القصيدة غامضة ، بم دفع صديقين الى ان يترافها على معناها ، ويقعدا
طغور كي يشرحها هما ، وعجز طغور عن شرح قصيدته ! وهل الدب
دنبه ؟ اذ حب تشبه غير الزهر ، وتساءل عن المعنى ، فالجواب هو هذا :
ليس ثم معنى ، ان ثم عيبراً ! « ليس التعبير عن شعور عرص حقيقة من
حقائق الكون ، او اعلان واقع علمي ، او ايضاح قانون اخلاقي . ان هو
الا صدى لما يحدث في النفس ، شأنه في ذلك شأن دمعته في جفن ، او
انتسامة على ثمر . قد يكون ثم ما يحبه العلم او الفيلسوف ، ان ليس
الى هذا يهدف الفنان ... واني حين خطت قصيدتي هذه ، ما عمدت ان
القي على الناس احببة ... ان حين تنفجر جداول النعم من بعبها
الاصيل ، من قلب الكون ، يرتجع صدادها تحت محبوب ، ومشهد فتان ،
ويبع هذا الصدى من القلوب . ومن بدري ؟ لعل ما يحب هو هذا
الصدى ، لا الاشياء التي ترتجعه ، ولا لم هيم ليوم لم لم يكن عباً .
امس ؟ ... ان اموح استدفق من اللامتدهي الى امتدهي هو موح خلق
والخير ، وان له فوايديه واشكاله . ان صداد اندي يعود الى اللامتدهي
فهو الجمال والفرح ، وكلامه غير محسوس او ملموس . وانه هذا الصدى
هو الذي يجرح ب من حدود كيب . هذا ما حاولت التعبير عنه في
نشيد « الصدى . »

ويخبر طغور ان اعاني الصباح كانت حادثة الفصل الاول من فصول

حيته . وانم الاثر الذي تكوتت فيه شحصة الشعر ، او قل تكوتن
لون بسىء من الوان فيه الباقي . قال طعور : « ان الحرية تجور القانون ،
ثم نسينا لنفسه قانوناً تنقيد به ، وهذا هو الاستقلال الشخصي الحقيقي . »
وانه في اعني الصبح قد جار هوايين ، وسنت لهه قوبى !



ثم سنقل اسرة طعور الى « كروار » فبؤلف هناك مسرحية شعرية :
نُر لطبيعة .

نص هذه الرواية ناسك احد على نفسه ان يقهر الطبيعة ، فينهرور
من كل شهوة ، وكل حب ، ويعوص في نفسه للتعرف على اعمده . ولكن
الطبيعة لا تنفهر ، واذا بنته تجبد به عن قصده ، ونعيده الى العالم ، والى
احب . وجيشير يرى الدسك ان اكبر شيء كامن في اصغر شيء ، وان
اللامه هي « تن في حدود الشكل ، وان لنفس يجدي في الحب حررتها الابدية .
ويؤكد له طعور ان هذه المسرحية فاتحة نتاجه الادبي التالي ، وان
حتى كدنة ذكرناه - قد عاد في كل نألفه على هذه الفكرة : الفرح
الاكبر وعن ادراك اللامته في صميم انسهه .



وكان طعور قد بلغ الثانية والعشرون ، وكان ان عرست له فتاة
اعجبت به ، فتزوجها .



ويتبع طعور النظم ، وفي كل نألفه صدى داك الفرح الشائع في
الكون ، في اجلة شيء فيه ، وانمه شيء .

وتصدر له مجموعة جديدة ، « رسوم واشيد » ، وفي كلها عبابة يتوافه الاشياء : ان الروح ، اذا تحلى بها الكون في وحدته الشاملة ، احسن برعته اللقيا ، انه كان نقطة الاتصال .

ثم تظهر مجموعة اخرى ، « السهل والخرن » ، وفيها يتوسل الشعر الى الناس لكي يفتحوا له ابواب مدينتهم المجهولة ، ويشاركوه في حياتهم البشرية . ان روح الشعر المردية تستل الى الحياة الشاملة ، وترجو الانعاس في حضن الرحب العطوف ، ثم تنوق الى السير في التيار الجارف النقي ، تيار الاحياء المازجين .

وكان هذا الشعور مصدر الم لطاقور .

ذاك انه كان يرى بلاده لانحداري سداب العدم في الحياة ، ولا تتصل بها ، ولا تسلم في معامراتها . وكان يرى الاحراب السياسية ، في بلاده ، ورعة من كل شعور قومي ، جعلته حذت اوطن ، عذبة عن مصالحه الحقيقية ، كما يرى ما في هذا الوطن من عوامل التفرقة ، والتطاحن ، والتخادل . يب الاوضاع الحمى ، وتخرج ، تقف ببلاده كالتسولة ، تلقى على الباهين نظرات الحسد ، ويب انه الارض يشدون اوطانهم ، ويضعون في سبيلها القوس ، ينسحقون ابداء اهد ، ويصرعون ! ويود صغور لو تهدم حواجر الاوضاع ، واجرت حرارت اهد ، ويدفع الناس احوة في تيار الحب !

واد يحدثك عن شعور طغور القومي ، فذهب بعض الشيء .

ان جو صغور القومي حزن حو شعور وطني حار ، وان صغور اندفع ، في اول شبابه ، يلقي في الناس الخطب ، ويخطب للشعب الاشيد ، ويدعو الى الجهاد في سبيل الحرية . على ان ما كان يطعم على ابناء

وطه من غمة ومن حمود ، من ثرة ومن شد ، حد من اندوغة ،
وانكش به خارج المعركة .

اجل انه سبيل الرضى محض ، وسكس قبي موته الى غاندي .
اما نحن ، اعوان المهاراج غاندي ،
فهدف واحد يجمعنا .



لا غلاً اكياسنا من اصلاب العقراء ،

ولا بجنوا امام عبي
ان هيجوا مهدين ،
فصوبوا اللكمات ،
او دفعوا العصي ،
بسمنا فائدين :

ان شرواً بتطايير من عيونكم
قد يوظف الطفل مذعورا في مهده ،
ولكن من يحيف ذاك الذي لا يحرف ؟
ما من حيلة ديبلوماسية
تشوه كلماتنا البسيطة ، القوية ،
كلمات نسير بصحباكم حتى غلبة السجون .
امام شبكات السجن تحتشد الضحايا ،
وربما تتكسر قيودهم الدهرية ،
وتقع في العبر ،
ونتمحي كل وصمات الاعداء ،
وعلى الجباه النقية
تتلاها بركات غاندي !

سيظل طاغور الوطني المحض ، وسيكب في ذلك ويخطب ، ولكنه
ان يختلط بالشعب ليشاطره شعوره وآلامه . هو العتق فلما استطاع ان
يبدمج في جماعة ، او ان يصير المنكث بين الجماهير .

وان ثم احزاناً حلت بقلب طاغور .

لقد فقد امه ، وهو ابن سني عشرة ، فجرع على فقد . ولكنه جزع عابر ، لان احزان الاحداث لا تسع لاعمدق .

على انه بلي ، مد الثالثة والعشرين ، بعدة بلايا ، مدت ابوه ، وروجه ، وسكره ، وابسته ، فكنت سلسلة متصلة من الآلام ، وكان اثرها في النفس بليعا : « كل شيء حوي صل على ما كان عليه - الاشجار والتراب ، امياه والشمس ، القمر والنجوم - انما الشغص الذي كان الصق بجبائي من كل هذا جميعاً ، فقد توارى في خصة ، كما يتوارى اللحم ! »

وينهي طاغور كذب « ذكرينه » هذه الكلمات :

« ما رلت اذع سفر حربي بين مدرك البشر . واني لا استطيع ان ابصر الى ما القاه في الطريق من حير ومن شر ، من فرح ومن حزن ، كما انظر الى كذب مردان ، اصور ، اقلب صمغانه . لقد بست وهدمت ، انتصرت واندحرت ، حللت وقومت . واني لا اقوى على السوح بمصدق قائدي الآمي ، اذ يسير بي بين ما في الحياة من عقبات ، وحصومات ، وتعاريف ، دون ان يفقدني هبة الحياة ... وهذا اقف بقارئي عند عتبة هيكلي الداخلي ، واستودعه الله . »

وان طاغور يكتب هذا مساء شر ديواله « هربان الاعابي » . واتم نقف بك معه ، عند هذه الفترة من حياته الروحية والفنية ، لاننا ما تحدثنا عن طاغور ، وما توقف على بعض تأليفه ، وما اوردنا له في الشعر وفي شعره اراء ، الا ليربك ترة عذت هذا الديوان ، وروحاً تدفقت في اناسيده ، وفاقاً تبع فيه اوجه . وانه قد حان لنا ان نحدثك عن الديوان نفسه !

قرباب الدنيا

قد أرينك ما عند طغور من خروج على النقاليد ، والسير في سبيل
وأي حص ، وأرينك توفه العميق الى الخروج من كياه المخدود ، للعوض
في خضم الحياة الشامل .

وانك نقر ديوانه هدا ، فتحس نفسك في اجواء سحرة عدراء ، ثم
نصفا قدم ، او يسم ' انها بشر ، ونحس انك شائعا في الكون ، معصا
فيك ، لاتعيقه حواجز ، او تحبسه سماء .

ان طغور دفق شعري قريب ، فسبح المدى ، بعبد العور ، ثم هدت
معترة من عطر الوادي ، وسنة العاب ، وغيمة الربيع ، وبصفتها لوحة
متناوجة عباءة ، او يلهم نزع العروب ، وهمسات العدير ، وحنن الشريد ،
ويرسلها نغماً متهادياً ولهان .

وانه هدي شرقي سام ، يؤثر الروح في عصر الالحد ، ويؤمن بالاحد
في صخب الاترة ، ويبذل ساحر الاوطن في ثورة القوميت . انه لمن الضلال
ان يجرى . الانسان الكون ، فيقيم الحدود ، ويمكن الحواجز ، او ان يصارع
الانسان احده ، وهما موجتان دفعهما البحر الاكبر على الشاطئ . الموحش ،
وستمتزجان بعد لحظة في غمره اهادى . الرحب .

هما هذا الخيال الحُصْب ، وهذا اهدى الروحي ، ينفذها عليك طاغور
في «قرنن الاغني» . والديوان هذا مجموعة اشيد لا يضبطها وزن ، او
يربطها تأليف ، واد تجري فيها روح هيام صوفي ، وصوة تائه غريب ،
وامن لقه دان . اما اذا اردت تحليلاً تهدي به في مطالعة هذه الاشيد ،
فذلك بعض معالم :

الشاعر انعكاس الالوهة على صفة الكون ، لولاه لما احب الله ، ولما
احس الحقيقة ، ولما احس نفسه (٦٥ ، ٥٦) .

والشاعر قبارة الالوهة ، فيها تسمع العم ، ومنها تتعالى الحان مثقلة
بالحب ، طويعة بالحن ، نوافة الى ابتلاشي في عمر الاعنية العظمى ،
اغنية الابددي .

والشاعر حبيب واجد ، يرفب الطرق ، وينوع الاشيد ، يسهر الليالي
ويعاني الطلام ، يسهر ويعني منتظراً هبوط الحلب في موج من النور ،
ودفق من اهد . ٢٧ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٧ ، ١٠٠ .

والشاعر روح عارفة في جسد ، مقبدة بهواء ، يصع عبها الطموح ،
ويستثر بحب الناس ، ونعرجا بدرجة الاشكال . واهم لفي جهد شاق ،
وعناء مؤلم ، الى ان تنحدر من كل شهوة ، وكل شك ، وكل لون
جذاب ، وتغادر هذه الحياة لتعوض في قلب الحياة الشاملة ، وتلقى
الالوهة رجهاً لوجه ، في هجة الصاح الاسي (٢٨ ٣٣ ...) .

وان الاشيد الاحيرة في الديوان لوداع للحياة ، وداع هادي ،
رهيب ، فيه من عصة العراق ، وفيه من ثقة المؤمن ، وفيه من عودة
العرب ، ومن امل الحبيب بنقه حبه . ولعل اشيد الوداع هذه زبدة
ما في الديوان .

وتجد غير ذلك أناشيد متنوعة ، منها مثلاً طويهان (٧٨ ، ٥٠) ومنها
أناشيد للطفولة (٦٠ ، ٦٢) ، ومنها مزيج من شعر وحكمة وامثال .



طالع هذا الديوان ، بل تأمل فيه ، لأنه للتأمل لا للقراءة السريعة ،
ولعمارة الفن والروح ، لا لطلاب التسلية . طالع ولا يوفقك ما فيه من مسحة
حبولية ، فإنها اغراق في اللفظ ، لا عقيدة في السريّة ، وإها ، ان تهدف
الى شيء ، فالى ان تُشعرك بصلات أمك بك ، وبصلاتك بالناس ، فتظهر
عسك مثوى لربك ، وتظهر قلبك من اثره ومن وعص ، وتخطو بالناس
ومعهم الى احاء اصدق ، وعلم اكمل .

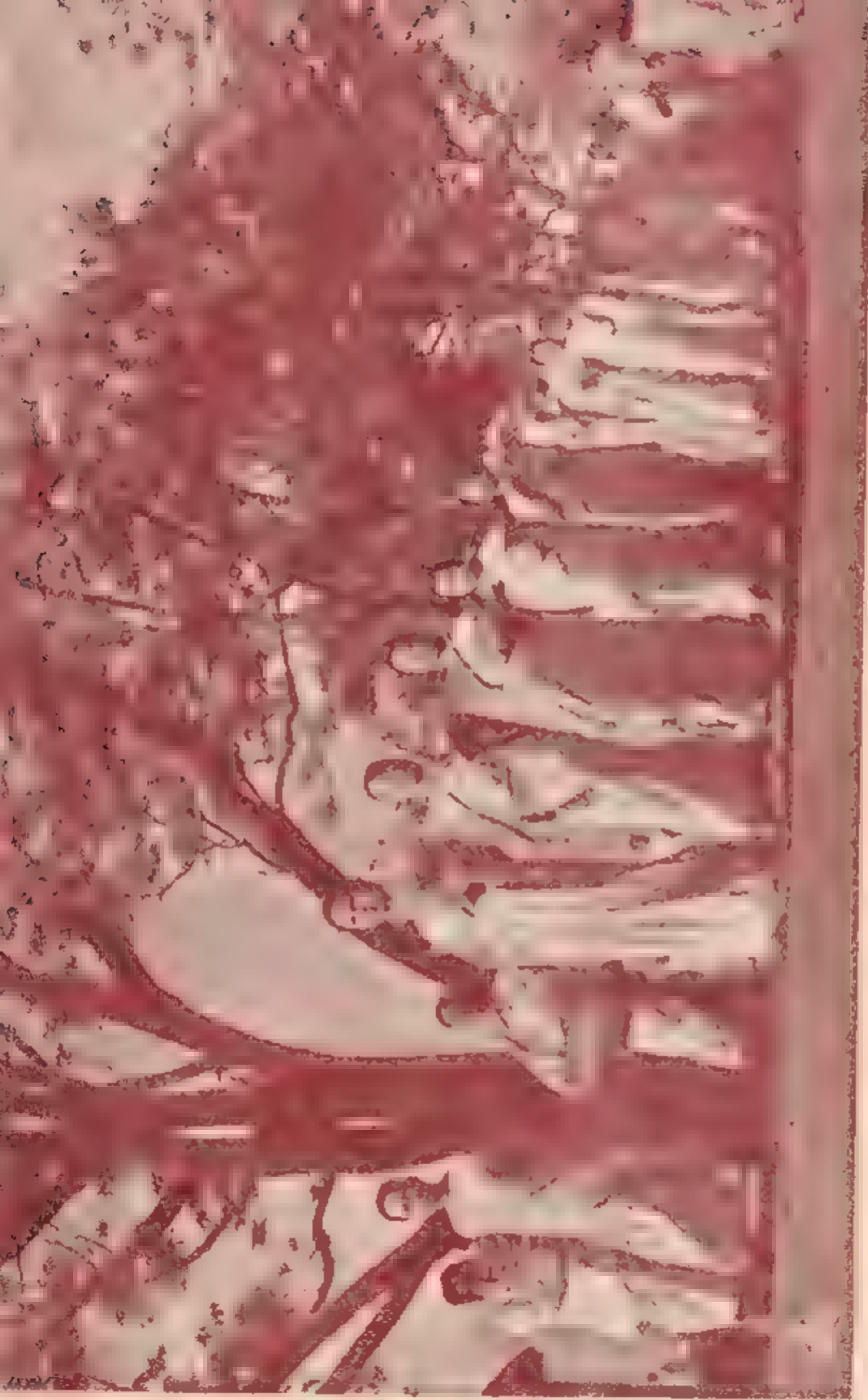
طالع لأنه نتاج شرقي ، يصادف منك هوى ، وبحرك كوامن قري .
وطالع لأنه من احسن كتب طاغور ، وانه لطيف جسيم الا تعرف
كتاباً قبيحاً لطاغور !

ي . ق .

ما العالم في مقهره ، تعني ، سوى منعب يرح فيه ابدع الالسن ،
ويتفنن مالحق والتدوير . . .

اب الله يترامى في اجس شيء - في النور ، والبستان ، والوجه
الحسن - كما يترامى في اجس شيء . . .

صاعور



لقد حسن في عريث ، فجبثني لانهاية لي .^(١)
 هذه الكائنات الواهية بفرعها ، مرة بعد مرة ، ثم تملأها ابداً حياة طرية
 وهذا الذي احقير جبث به التلال والالودية ، تهز احشائه بانغام
 تطاول الآباد .

تلمسي يداك لمسة خاضة ، فيطفر قلبي الصغير جسلاً من حواجزه ، ويدفق
 كلاماً علوياً .
 عذيك لامتناهية ، وبداي صغيرته ، يمكن اسك فسوف تعي
 الاحيل ، ويبقى في يدي فراع .

تأمرني بغناء ، فيطفح قلبي تيهاً ، وانظر الى محيك فتفيض عيني بالدموع .
 كل ١٠ في حياتي . من فترات مبحوحة ، متاهرة ، يذوب ويأثنف في لحن
 واحد رخم - وتسعد صلاتي جناحيها كأنها طير طروب ، شريد على
 وجه البحار .

(١) يتحدث طاعور الله ، وأكثر انشيد الكتاب حوار بين الشعر وربه .

انا اعلم انك تطرب لغنائي ، واني لولاه ما مثلت لديك .
 ان عنائي يحوز الآفاق ، وتلامس جناحاه قدميك ، قدمين ما طمعت
 يوماً الى بلوعهما .
 وفي نشوة عنائي ، ياخذني الدهول ، وادعوك صديقاً ، انت يا ربي .

٣

ألا ، كيف تغني ، يا احذق المعين ؟ انا اضفي ابدأ اليك في سكتة المفتون .
 اشعة موسيقاك تنير الكون ، نفحات موسيقاك الحية تسمى من سماء الى
 سماء . تيار موسيقاك المقدس يحرق الحواجز الصخرية ، ويجري مذهباً .
 ان قلبي يودّ الفناء معك ، ولكن اني له ما يوم ؟ ان صوتي يحتنق ،
 وكلهتي لا تأتلف في لحن ، واطل شاكياً ، محذولاً . آه لقد سحقت قلبي في
 شباك موسيقاك اللامتناهية ، انت يا سيد الممين .

٤

يا حياة حياتي ، سامعي ابدأ في صون جسمي نعباً ، لان ملاسك الحية
 تلامس كل عضو في .
 سامعي ابدأ في صون فكري من الضلال ، لانك الحق ادي شعل نور
 الفهم في قلبي .
 سامعي ابدأ في دفع كل خبث عن قلبي ، وكل ذبول عن زهر حي ،
 لان مثواك في قدس اقداس قلبي
 سامعي ابدأ كي تظهر في اعدي ، لانها قوتك حثني قوة العمل .

نعمه ارحوا ألامح ي ان ارتاح هنيهة قريبك ، وسأنتهي بعد ذلك ،
 بأشركه من عمل .
 حين يغيب عني حبيك ، يبعد قلبي الهدوء وراحة ، ويصبح علي عنه مديداً
 في بحر رحب من الضياء .
 اليوم اطلّ الصيف على نافتي ، بهجه وزفيره ، وتسارعت النحللات بفارلن
 زهور اروض .
 هي السعة الملائمة ادعني احلى هذين امهاتك ، وجهاً لوجه ' ادعني اعني ،
 واقعاً لك احبابة ، في عمر هذا السكون لصامت .

اقطف هذه الزهرة الواهية ، وأسرع بقصدها ، لئلا تدبل وتسر في العذر .
 ان م تصغر منها اكليدك ، فلا تحرمها لمس يدك الاليم الا قصتها الي
 اخشى عروب شريري ، وفوات وقت 'فرايين .
 بون زهرتي حبي ، وعطرها خجول ، ومع ذلك وقبها بعض دينة ،
 واقطفها قبل فوات الاوان .

عظمت عندي من لريبة ، وطرححت رهو اللباس والرخوف . اخني تفقد
 علينا الوصل : انها تقوم فاصلاً بيننا . وصوت جليخها يطغى على النجوى .
 حين أدرك ، اخصل من نفسي ، ويندثر تيه الشاعر في . ياسيد الشعراء ،

ها قد جئت لدى قدميك ، تبني فقط ان اجعل حياتي مستقيمة ، بسيطة ،
استقامة ناي. يجب من انشادك .

٨

اذا ارتدى الطول حلة الامراء ، وراى بالسلال جيدة ، فقد لذة اللعب ،
وعاقتر الزينة خطاه
يخاف هتك المسيح ، او تلويته بالغبار ، فيبتذل الناس ، ولا يكاد
يجرؤ على الحركة .
ايتمها الام ، ما سجن هذه الزينة ؟ الا بحرمة من لبح الفجار النافع ،
الا تسليته حق الاشتراك في موسم حياتك الشامل ؟

٩

ايها الاحق ، سي يجول حول ذاته على كتفيه ، ومتسولاً يستعطي على
باب داره !
الا لقي انقاذك بين يدي القدير ، ولا تسمن ابداً حتى ماتت .
يجو نور المصباح ، ان مشه لهث شهوتك بها شهرة دنسة ، وسذ .
تقدم لك من رجاس ، ايثاراً لهت احب المندس

١٠

هنا معدش ، وهن تروح قدمك ، قرب الفقير ، واحفير ، ولشريد
هما حنيت امامك واضع ، ظلت دون بلوغ الهوة ، حيث تروح

قدماك قربَ الفقير ، والحقير ، والشرير .
 ان الكهرياء تنفر عنك ، اد تراك في ثياب الهوان ، فاشي الفقير ،
 واحتقير ، والشرير .
 ون قلبي ان يسلك السيل اليك . . . دمت بين النديات ، جليس الفقير ،
 والحقير ، والشرير .

١١

اسأل عن التزويل والغنى ، وطرح سمعتك ! من تراك تكرم في هذه
 الزاوية الممتدة من هذا الهيكل امعل الحلي ؟ ألا افتح عينيك تر الهك
 غائباً ! ^(١)

ان الهك حيث يشق حارث ترته الصلبة ، وتحمم الصخور ايدي
 البنائين . انه هنار رهن الشمس ولا مطار ، يصكو القبار ثوبه ، فاجمع
 ثياب التقى ، واتزل . مثله بين القبار !

النجاة ؟ ام ترجو النجاة ؟ قد تقيد رب مهروراً بقيود الحاق . قد
 تقيد بنا الى الابد .

اخرج من ثلاثك ، واترك حذر الزهر والحدود . . هم ان تروق ثوبك
 او تلوث ؟ الا اذهب اليه وشطره العذ . وعرق الحلي .

(١) ان حاور لا يبد الصلاة . ان له في هذا الكتاب صمات . ولكنه يمد زبد
 السمات الفارغة التي لا تصدر عن قلب او تفكر بعمل .

أيامُ سفري صويلة ، وضُرَيْقي ضُوبِل
 خرجتُ في موكبِ الشعاعِ الأولِ ، وحببتُ العوالمَ الخالية ، تركتُ ثُرَي
 على آلافِ النجومِ والكواكبِ .
 بعدُ الطُرقَ اقرباً اليك ، وأتَوْنِي العُزفَ اقرباً إلى بساطةِ الايقاعِ .
 على المسافرِ ان يقرءَ كلَّ صَفْحٍ قُلُوبَ الرُقُوبِ على بابهِ ، وبينه عُرشُ
 العوالمِ الخارجية قبل الاهتداء إلى قدسِ اقداسه .
 كم جئتُ عيشي من افق ، قبل ان اظهر واقول : انت هنا !
 كم سأَتُ وصرختُ . « هـ » ، اين ؟ وان سؤالي وصرخي ذابا في
 دموعِ آلافِ الانهر ، وغمر الكونَ نوحاً هذه الحقيقةُ ارضية ، حقيقة وجودي .

ما جئتُ لأغنيته ، لَأُغْنِيهِ .
 لقد انفتحت أيامي أشدَّ اوتدري وارخيها
 اعطوني الهممَ السوي ، وتسامحتِ الملائكة ، وكل من بقي في قلب
 امسيةٍ تحتضر .
 زهرةٌ برعمٌ بعد ، انما الريحُ قوتها يتأوه .
 لم ار وجهه ، او صغر لي صوته ، انت سمعت وقع خطاه الخفيف على
 طريق بيتي .
 مدى نهر حبيبي الصوين ، وب انصب له عرشاً في دري . ان المصباح
 لم يشعل ، فكيف ادعوه الى ادخول ؟
 احيا على أمل قياد ، وحتى الساعة لم يتجه لقاء .

مناي كثيرة ، وشكواي تفتتُ الأكباد ، ولكنك تنجيني ابداً بأحرمان
 الاليم ، تلك النعمة القاسية التي تلج بها حياتي من قطب الى قطب .
 يوماً بعد يوم تُمدني لهابات لم أرُها ، لهابتك العظيمة ، البسيطة - السماء
 والنور ، الجسد والحياة والروح - وتقيني أخطارُ المنية المطاع .
 تارة اتعبُ فاتماهل ، وطوراً انهض مسرعاً نحو هدي ولكنك اذ ذاك
 تحتجبُ بقساوة عني .
 يوماً بعد يوم ، تعدني لقولك الكامل : تثابر على الحرمان وتثابر ،
 فتقيني أخطار المنية الواهنة ، المنية الخيرية .

انا هنا لأسمعك اعاني ، وفي زاوية قاعتك هذه لي مقعدٌ خاص .
 انا بطألٌ في عالمك هدا ، وباطلةٌ حياتي ، فلأنقرها امامك نغماً دون هدف .
 عندها تحينُ الساعة - ساعة عبادتك الصامتة ، في هيكلك الليل البهيم -
 مرني ، يا رب ، فانتصب امامك مغنياً .
 عندما يهبُ نسيم الصباح ، ويغرف العودُ الذهبي ، اولني هذا الشرف ،
 ومرني بالمشول لديك .

دعيتُ الى عيد هذا العالم ، وهكذا تباركت حياتي . عيني ابصرتا ،
 وسمعت اذناي .
 كان نصيبي في هذا العيد الضربُ على مغربي ، وقد غرمتُ ما استطعت .
 فهلاً حان لي ان اعبر الباب ، لأرى محييك ، واهدي لك تحييتي الصامتة ؟

الحبّ وحده انتظر لاستسلمَ لذراعيه . لهذا فأت الوقت ، وكثر
مني الإهمال .
من شرائعهم وقوانينهم حاكوا لي قيوداً ، ولكنني أفلتُ منهم ابداً ،
لاني لا انتظر سوى الحب لاستسلم لذراعيه .
لا وفي وعابوا أهلي ، ولا ريبَ أنهم في لومهم مصييون
أفقلوا الأسواق ، وفروغوا من قضاء الحاجات ، والذين نجثوا عني عادوا
خائنين حائقين . الحبّ وحده انتظر لاستسلمَ لذراعيه .

الغيومُ تتلذذ فوق العيوم ، والظلامُ بهم . ألا كيف تتزكّني ، أيها
الحبّ ، انتظر وحيداً على بابك ؟
في جبهة الظهيرة ، اختلطُ بالجمع الساعي ، أما في هذا النهار الموحش القائم
فلا أرجو سواك .
إن تحبّ عني محياك ، وتهملني جاباً ، فكيف أقضي هذه الساعات
الطوال ، الساعات الماطرات ؟
إلى أرجاء السماء القابعة تحديق عيناك ، وقلبي الشاكي حوَّابٌ مع ريح تجوب .

إن صمتَ قاسيتُ منك الصمت ، أملاً به قلبي . وإني لأمكث هادئاً ،
وانتظر صابراً ، خافض الجبين ، كأني الليلةُ الساهرة القمر .
سيلوح الصبح ، وينبدد الظلام ، وينهلُ صوتك غمراتٍ ذهبية ، متدفقة
أعرض السماء .

حينئذ تتعالى كلماتك عناءً مجعاً ينبعث من اعشاش طيوري ، وتتغنى
انغامك زهوراً في غياض غابي .

٢٠

يوم تفتحت زهرة الحندقوق ، كان قلبي داهلاً ، فلم ادري بها . كانت
سلتي فارغة ، وزهرتي املتها !
لما كان حزنٌ صاعق يعاودني ، فاستفيق من حلمي مذعوراً ، ونهبُ ريحِ
الجنوب ، فاشتق فيها بقيةَ عذبةٍ من اريج غريب .
وكانت هذه العذوبة الحفية تثير في قلبي المني المضنية ، وكنت اخالها
لحس الصيب الاحرح يحد نحو النهاية .
ما كنت ادري بعد ان هذه العذوبة الفاتقة قريبةٌ مني ، كامنةٌ في ، ما
كنت ادري انها زهرت في اعماق فؤادي .

٢١

ويج لي ! علي ان محو اسميني العباب ، وهـ الساعات الطوال تنقضي ، وانا
على الشاطئ .
الريبع اعطى رهوره ، وولّى مودعاً ، وانا ما زلتُ منتظراً ، متاهلاً ،
احل زهراً تافهاً ذاوياً .
الموج يتدفق صاخباً ، والاوراق الصفراء ترتعش ما وراء الضفة ، وتنتثر
على الطريق الظليل .
اي فراغ تتأمل ؟ الا تحس قشعريرة تسري في الهواء ، ونفث لحن
بعيد تطفو على الشاطئ . الاخر ؟^(١)

(١) هو شامى العاد الثاني .

تحتَ امطار تموز ، وفي ظلامه الدقة ، تسير سيرةً خفياً ، صامتاً كالليل ،
متحايلاً كلَّ حارس .

صباحُ هذا النهار اغمضَ عينيه ، غير مكثرت بالنداء للراح ، تداء الصبا
العاصف ، وغشا: كيف حجب رقة السماء ، الرقة التي لا تنام .
الفياضُ صكت عن الفناء ، وقفلت ابواب المنازل . في هذا الشارع
الموحش ، ليس من مسافر سراك . الا يا صديقي الوحيد ، يا خير حبيب ،
ان بالي مفتوحٌ على مصراعيه ، فلا تمراً كاحلم

الليلُ عاصف ، وفي السماء رفرات الينسين ، ومن انتَ صديقي ؟ هل
انت وسط العصفرة تتابع سفر عرامك ؟
لا اشعر الليلة بنعس ، وكلَّ هنيهة افتح بي ، وابحث علك ، صديقي ،
بين طيات الظلام .

ولكنني لا اتبين شيئاً ، واسأل اي طريق تسلك !
فعلى اية ضعة قمت من الاهار السوداء ، على اي تخوم قصة من العب
المتجهنم ، وخلال اي طيات من اعماق الظلام ، تحط طريقك ، يا صديقي ، الي ؟

اذا ما ولَّى النهار ، وصمت الطائرُ الشادي ، وسكن الريحُ التبعين ،
فاحضني بالظلام الكثيف ، كما تحضن الارض برقد ، وتطلق زهرة اخندقوق
اشفاقاً من النسق .

إذا ما فرغ رادُ المسافر في الطريق ، وترقت ثيابه المنقطة بالغبار ، وخارت
منه القوى ، فاحفظه من العابر والفاقة ، وجدّد فيه الحياة ، كما تجددوها في
الزهرة تحت نقاب ليلك الوؤوف .

٢٥

في ليالي التعب ، دعني استسم للنعاس ، واضعاً فيك ثقتي .
انه لجهد باطل ، جهد عقلي المنهوك في إعداد عبادة لك ، انت يا من ترخي
سدول الليل عني لعيني لنهار التعبان ، لتجدد فيهم ، عند اليقظة ، نظراً
هنا واهم .

٢٦

اتى وجلس مخاني ، وانالم استيقظ . كم كان نومي مشغولاً ، انا التبعس !
اتى في هدأة الليل ، حملاً قيثارته ، فرددت احلامي صدى انغامه .
اه لماذا تضع هكذا كل ليالي ؟ لماذا تحرم عيناى اهداً من يلامس
نومي بانفاسه ؟

٢٧

النور ، ابن النور ؟ لا اشعه بلهب الشوق المصطرم ،^(١)
هوذا المصاح ، انما لا شعاع يحرق فيه . أهذا مصيرك يا قبي ؟ الا ان
موتك خير لك والفضل !
الشقاء يقرع بابك . هو رسول ربهم ساهر ، يدعوك الى موعد الحب ،
في ظلام الليل .

(١) قال ابن الفارض ، وصيبر ، في توحشها ، يعود الى الديار :
وان احشك بيل في توحشها عاش من الشوق في طلباتها قسماً !

السماء متلذذة بالعيوم ، والمطر سمين متص . في داخلي اضطراب ، جهل
مصدره ، واجهل مغراه .

يومض البرق وجأة ، فيلقي ويمحبه على نظري ظلة أعق ، ويسري قلبي
متحبطاً الى حيث تدعوني موسيقى الليل .

النور ، أين النور ؟ ألا أشعله بلهب الشوق المضطرب ! الرعد يقصف ،
والرياح يعصف شاردأ في الفضاء . الليل اسود كنهه الحجر الاسود . لا
تدعن الساعات تنفضي في الظلام . ألا شعل حياتك نوراً في مصباح الحب .

٢٨

ثقيلة هي قيودي ، ولكن قلبي يتنه ذاعول كسرهما .
أحرية كل مهي ، ومع ذلك اشعر بنجس حين حسو اليها .
انك لأعنى كائن ، واعر صديق . ومع ذلك لا يصاوعني القلب على
تكليس رخارف ، إلا عرفتي .

حدي غطاء بسجحه الموت والغبار ، ومعني بعضي به اضمه هيام .
ديرتي كثيرة ، وافلاسي كبير ، وعاري تقيس مستور ، ومع ذلك ارتحف
اذ اطالب بما لي ، مخافة ان انا له .

٢٩

ان احمي لسجن ، واني اسيره البكي . ان ابدأ اعني بساء حذرته ، وبينما
هي تمار مع الايام وترتفع في الفضاء ، بتد ظلتها الكثيف على كيني
الحقيقي ، فيغيب عن نظري .

أما فخور بهذه الجدران الضخمة ، ان لحظتُ فيها منعداً ضيلاً سدوده بالرمال
والتراب . ولكثرة ما عاليت في العناية بحمي ، غاب عن نظري كياني الحقيقي .

٣٠

٦ خرجتُ وحدي الى هذا الموعد ، ولكن من ذا يتترّ خطاي في هذه
الظلمة الصامتة ؟

اتنحى لأحايده ، أما لا ملاص منه
يشي متغطراً فتشيه مشيته العر ، وصوته الصاخب يردد . أا اقول .
إن هذا الا شخصي احقير ، يا رب ! انه بجهل الحياء ، وأنا اخجل من
الوقوف بصحبته على بابك .

٣١

ايها الاسير ، قل لي ، من ذا الذي كبلتُ ؟
واجاب الاسير : « هو سيدي ، حملتُ بان افوق كل بشر عي وسلطاً ،
فلم اؤدِ ما للملكي من فعة ، بل جمعتها في خزني . واستولى علي الناس ،
فانطرحت على سرير سيدي ، وعند اليقظة وجدوني اسير خزانتي . »

ايها الاسير ، قل لي ، من صنع لك سلاسل الفولاذ هذه ؟
واجاب الاسير : « انا صنعتها بيدي ، واتقنت صنعها . خلّني قادراً ،
بقوتي القهارة ، على ان احبس الكون في سجن ، فبقي حراً مطمئناً .
ورحت ليلاً ونهاراً احمي الحديد في سفير النار ، وادقّه بمطرقتي دقاً . وعندما
انهيت عملي ، واكملتُ آخر حلقة من سلاسل الفولاذ ، وجدوني اسير قبضتها . »

بشتى الوسائل، يحاول احبائي في هذا العالم ان ينفردوا بـحي . اما حبك
فغيرُ مهم واكمه ، ولهذا تتركني حراً .
يحافون ان اذسهم ، فلا يتركونني ابدأ وحدي . وتقر الايام اثر الايام ،
وانت محتجبٌ عني .
قد لا ادعوك في صلاتي ، وقد لا يسكون في قلبي ، ومع ذلك يظل حبك
منتظراً حي .

في النهار اتوا منزلي قائلين : « سيشعل هنا اصغر غرفة » .
قالوا : « سوف نشاركك في عبادة الهك ، ونقبل قنعين ما يصيدنا من
نعم » ثم جلسوا في زاوية هادئين ، وديعين .
اما في ظلمة الليل ، فاقصروا هيكل المقدس ، عتفاً هائجين ، وطقاً جشع
اثيم ، فغروا مذبح الهي من القرايين .

ابق مني على هذا الشيء اليسير ، الذي به ادعوك كلاً لي .
ابق من ارادتي على هذا الشيء اليسير ، الذي به احسك في كل
مكان ، واقصدك في كل كائن ، واهدي لك حي كل ثانية
ابق مني على هذا الشيء اليسير ، الذي يحول ابدأ دون اخفاك .
ابق على هذا الرباط الضئيل ، انذي يصلني برادتك ، ويصل ارادتك
بجياتي - ابق على رباطه حبك .

ان روحاً نمنة ، ورأساً عالياً ، وفكراً طليعاً ،
 وان عالماً لم يندثر عثرته ، وتقم بين اهله جدر ضيقة ،
 وان كلاماً يمه عن صافي السريرة ، وسواعد جلدة تكذب نحو الكمال ،
 وان عقلاً ، فقد صفاه ، او ضل في قفر عبوس ، في بالي التقاليد ،
 وان روحاً تقودها في رحاب الفكر والعمل ،
 - ان ذاك ، ابت ، نعيم الحرية ، فيه ايقظن وطني

هذي هلاقي اليك يا رب ،
 انزع هذا الشح من قسي ، انزع من اصوه .
 قوتي لاصبر بشاش على الاحزان والافراح
 قوتي لاجل حي خصباً بالتفاني .
 قوتي كي لا امتهن فقيرا ، او احشوا امة القوة العتية .
 قوتي لاعل روحى فوق التوافه اليومية
 قوتي لاضع قوتي هبهم رهن مشيئت

عندما انفتحت اقصى قواي ، خلت سفري انتهى ، وخلصني في آخر الطريق .
 خلت زادي فرغ ، وحدث ان آوي الى الصلة الصامته .
 ولكنك لا ترضى لي عن حدود . فعندما توت الكلمات البالية على

شفتي ، تتدفق الدم الجديدة في قبي . وعدم ، اصل السبل المطروقة ، تطل
امامي غرائب بقاع سحره .

٣٨

اياك اريد ، واياك وحدك - ردد ذاك يا قبي ، ردد دون من .
كل مناي الاخرى ، الهرة بيبي ونهاري ، منى كدبة ، ورعة حتى الباب .
في ظلة الليل صرحة كمنة في النور ، وفي اعماقي اللاواعية دوي
صوت صارح : اياك اريد ، واياك وحدك .
في قلب العاصفة ، الذرة على اهدوء ، روح في الانداس فيه ، وفي طغيان
تمردني على حث حث هاتف : اياك اريد ، واياك وحدك .

٣٩

اد تصب قلبي وجف ، هط عني في وابل من الحزن .
وذا ذوى جمال الحياة ، تعال اني في عصب من لاشيد .
واذا علت من كل صوب ضوضاء الكد صخب ، وعاب عني العلم
الاخر ، تعال لي ، يا إله الصمت ، باهدوء وراحة .
واذا ارغى قلبي البانس مذوياً ، ديلاً ، كسر الباب ، يا ملصكي ،
وادخل في اية الملوك .
واذا اعمت الشهوة عيني باوهم والعار ، هني ايه الساهر ، من لا قدوس
سواه ، هلم الي بالحق والعود .

اللهم ، الايامُ تبي الايام ، والمطر محوسٌ عن قلبي الفاحل
 'في الافق عريٌ قدس' ، لا عيمةٌ نديةٌ تحجب حواشيه ، ولا شبهةٌ اشاريةٌ
 الى بعيد غييب منمش .
 الا ارسل ، ان شئت ، عواصف هوجاء ، مثقلة بلموت والظلام ، واصفع
 الـ . بدوتها تهزها من قطب الى قطب .
 وسكن استرجع يا رب ، استرجع هذا الحر الصامت المضطرب ، الحر
 اللامع القسي ، اندي يتسلل الى قلبي لهيباً ، وينسا مريعا .
 ونهبط علينا من الغلاء عيوماً رؤوفة ، كأنها عين الام ، الطاوحة بالدموع ،
 ساعة الغضب الابوي

في ابة ظلمة تحتى ، حبيبي ، واين تقب وراء الجميع ؟ على الطريق
 الغراء يصدك المدة ، ولا يبذلون وتعادمي التي عانيت الساعات ازمها
 طريقك ، خطوها رهرة زهرة ، وكادت سلتني تهرغ .
 ها قد وتلى الصباح ، وتولى الظهر ، وبدأ ظل المساء يشعل عيني بالنعاس .
 العائدون الى بيوتهم يحدقون الى وجهي ، وابنسائمهم تشبه في الحيا . كالفتاة
 المتسولة جلست ، ووجهي حجبت بطرف ثوبي ان يسألوني عم اريد ، اخفض
 نظري ولا اجيب .
 أو أجيبهم اني في انتظارك ، وانت وعدتني بالحبي . هل ابوح لهم دون
 خجل بانني اخترت هذا الفقر مهراً لي ؟ اه ' ان في هذا كل فخري ، واني
 لاكتمه في حبة القلب .

جلستُ على العشب الاخضر اأمل السماء . اني احلم بوصولك فجأة ،
 بين شعشة النور ، وعلى مركبة ترف فوقها اعلام ذهبية . واني اراك نازلاً
 عن عرشك ، بين دهشة الواقفين على حافة الطريق ، لتلمني من بين التراب ،
 واراني جالسة ازاءك فتاة فقيرة ، تكسني ثوباً رثاً ، وترتجف حياءً وعجباً ،
 كأنها ببتة متدلية في مهب نسيم الصيف .

ولكن ها الوقت يمضي ، ولا صوت لدواليب مركبتك . ان مهرجاناتاً
 عظيماً يُحَف في لآلأ من المجد ، صاخاً ، هاتفاً : اتبقى وحدك في الظلمة
 الصامتة محتباً وراء الجميع ؟ أو أنتظرك وحدي باكياً ، اضي القلب بالشوق
 الباطل ؟

٤٢

مع اشعة العجبر همة تسمى : اني سأنجز وانيك ، سبهر وحيداً ، في
 سياحة لن يدري بها بشر ، ولن يكون لها نهاية او هدف
 عرض يمر لا تحدة شواطئ . وعلى مسرع يستك الصوامة ، قد تندفق
 انغامي طليقة كالامواج ، حرة من قيود اللفظ .

ألم يحزن الوقت بعد ؟ وهل من عمل يميّتنا هنا ؟ على الشاطئ ، هبط
 المساء ، وعلى هاتر النور المحتضر يأوي طيرُ البحار الى وكره .
 ترى متى نُقلع ، وتغور سفينتنا في قلب الليل ، كأنها اخرُ خفقة من
 شعاع الغروب ؟

٤٣

لم اكن مستعداً لاستقبالك ، يوم دخلت قلبي . دخلت كمامة الناس ،
 يا ملكي ، دون ان ادعوك او اعرفك ، وطبعت بطابع الابدية هنيهات
 عديدة من حياتي الهاربة .

واليوم ، اذ أعتد صدفةً على تلك الهنيئات ، المطبوعة بجحمتك ، اراها
 «طروحة» في القبار ، مبعثرة بين عادي ايامي المسية ، بين افراح واحزان .
 لم تهزأ بي يوم كنتُ طفلاً لعب بالتراب . وان خطي دوت بها قاعة
 العالي ، يومذاك ، كلها تدوي السماء من نجم الى نجم .

٤٤

لذتي في ان اراقب المارة . منتظراً على حافة الطريق ، حيث الظلام يطارد
 النور ، والمطر يتأثر الصيف .
 ان رسلاً يرون امامي حاملين اخبار سمواتهم مبهمة ، ويحيونني مسرعين .
 قلبي خافق طروب ، وعذب لثا السيم العابر .
 من العجر الى الفسق ، انتظر امام بابي . واني على يقين من دنو الساعة
 السعيدة ، ساعة مرآه .
 وبيننا انتظر ، اسمٌ وحدي واعني . وان الهواء لعابق بعرف الوعد .

٤٥

الم تسمع وقع اقدام الصامته ؟ انه آت ، آت ، آت ابدأ .
 في كل نايبة وزمان ، في كل نهاد ويل ، هو آت ، آت ، آت ابدأ .
 كم عنيت من نشيد - من كل اصدااء الروح - وكل اغاني نفمة واحدة :
 هو آت ، آت ، آت ابدأ .
 في شمس نيدان العابق بالطور ، وعلى مسالك الباب الضيقة ، هو آت ،
 آت ، آت ابدأ .

في ليالي تموز العاصفة السوداء ، وعلى قصف مركبة النفيوس ، هو آت ،
آت ، آت ابدأ

هي خطاه تَضَعُط على قُبِي ، فَاحْسَ غَمًا على عَم ، وَهَمًا قَدَمًا زَلَمَ انْزِي
لَمَتَهَا الذَّمِيَّة ، فَازْهَرُ فَرْحًا .

27

تُرى، كم سرت من احقاب تسمى الى لياي ؟ ار شحك ومجربك من
تحريك عني الى الابد .

کم مرفردوی وقع خطک ، کم من صباح و مساء . و ولح رسوبت
قلی بدعونی سرأ الیک .

لست ادرى اى بشوق تمز حباتى اليوم ، ولا اى رعدة فرح تمز
مژادی .

تري هل حان وقت راحتي . من العمل ؟ اني احس في الهوى عطراً
خافتاً ، عطراً دنوك العذب .

ΣΥ

كأد اللين ينقضي، وأنا في انتظار بطل . واني لاخشي ان يقب صباحا على
بيي ، وقد استسلمت للنحاس منهوك القوى . الا اوسعوا في وجهه الطريق ،
اصدقائي ، واياكم ان تصدوه .

ان لم يوقظني وقع خطاه ، فدعوني بحقكم نائما . لا احب اليقظة على
صداح الطيور ، او على جلبة الريح في هزج الصباح البهي . ! الا دعوني نائم

نومي الهادي ، ورو وقف ربي فحة على نائي !
 ايها النوم ، نومي الغالي ، انت تنتظر سه لتتواري وعيني الما حشان
 لن . تتفتح اهدأ بها الا على نور اسمه ، ساعة ينتصب امامي ، كعلم صاعد
 من ظلمات النوم .

تفتح عياني عليه كأنه اول شعاع ، واول شكل ،
 ونفسي نفسي على لحظة مرتعشة رعشة الفرح الاولى ،
 واعد الى نفسي لاعد حالا اليه .

٤٨

الصباح بحر سكن يحفده غناء الطير استنوج ، والزهر دفق حبور يرف
 على حافة الطريق ، والاشعة الذهبية تنثر من خلال القيوم ، اما نحن مشغولون
 نتابع سيرنا غافلين .

لسنا نشد اعني الطرب او نلعب ، ولسنا نذهب الى القرية لنشاطي
 التجارة لسنا نتحدث او نسسم ، ولسنا نتوقف في الطريق . انا نسرع في
 السير ، ونسرع ، بحافة ان يفوت الاول .

ها الشمس في كبد السماء . الجمة تهدر في الظل ، والاوراق الياسة
 تدور راقصة في هواء الهجير ، والزاعي الصبي يغط حائلاً في فيء التين ،
 واما قد ارتقت على ضفة المياه ، ناسطاً على الاعشاب اعضائي المنهوكة

رفاتي ضحكوا مبني هارئين ، ثم شخخوا برؤوسهم واسرعوا . ساروا لا
 ينظرون الى وراء ، او يأخذون للنفس راحة ، حتى اختفوا في ررقه الافق
 البعيد . وكانوا يغدون في المروح وفوق التلال ، ويحتزون بقاعاً غريبة
 سحيقة . المجد لك وحدك ، يا كتيبة الاطال ، ابطال الدرب القصي .

استعزني الهزم واللوم فانتعضت اريد النهوض ، ولكن لم اجد جواباً .
 واستسلمت لراحه خزي عميق ، في ظل هذه شاحب
 في ظلال ندية ، موشاة بأشعة الشمس ، استسلم قلبي لراحه كسلى .
 نسيت كدتى ، وادعن عقلي تنها بين طيات الظلال والانعام .
 انما عندما فتحت عيني ، وافقت من سباتي ، رايتك منتصباً امامي ،
 تظلل بابتسامة رقدي . كم كنت اشفت من وعورة الطريق وطولها ،
 ومن اجهاد النفس للوصول اليك !

٤٩

من اعلى عرشك هبطت ، وعلى باب كوخى وقفت .
 كنت في راوية اعني وحدي ، فلع عندي ادنيك ، وهبطت الي ،
 ووقفت على باب كوخى .
 كثيرون الحادقون في قصرك ، ومتواصلة اعانيهم ، انما استهوتك بساطة
 نشيدي ، يا البديع المشرق هي نعمة ضيقة ، شاكية ، اختلطت بوسيقى
 الكون الكبرى ، واذا بك تهبط الي ، وتقف على باب كوخى ، واذا بك
 تحمر زهرة في يديك جائزة لي

٥٠

كنت اسير على طريق القرية ، منسولاً من باب الى باب ، عندما
 ظهرت من بعيد عرشك اندهية ، كأنها احلم الفتن ، فتساءلت مدهوشاً
 من هذا ملك الملوك !

قويت آمالي ، وخلت أيام بؤسي انتهت ، وقعت انتظر صدقت ،
 أعطى عفوا ، وخيرات تنثر في كل جانب على الدروب .
 وقعت عربتك امامي ، وعلي وقع لحطك ، ثم ترجلت متسماً . وخلت
 أيام تعسي انتهت ، وان الحظ قد لامس حياتي ، واذا انت تمد يمدك نفقة
 وتقول : ماذا تعطيني ؟

آه ، انه لعبث ملك ان تمد يدك الى منسول تستعطيه ! اخذني الحياء ،
 واستولت على الحيرة ، ثم اخرجت ببطء من جراحي اصغر حبات قحبي ،
 ووضعتها في يدك .

كم كانت دهشتي عظيمة ، اخر النهار ، عندما افترعت جراحي في صحن
 الدار ، فوجدت حبة ذهب صغيرة بين كومة حباتي الحديرات . حيثذ بكيت
 بكاء مرأ ، وود القلب لو اعطاك كل ما لي .

٥١

دجا الليل ، وشغل يومنا انتهى . وكنا نظن ان اخر ضيوف الليل
 دخل القرية ، وان الابواب كلها اعقت وقال قائل : ربما اتى الملك .
 فضحكنا قائلين : لا ، ان هذا محال !

نخيل لنا ان الباب يقرع ، فقلنا انه الريح ، واطفأ المصابيح ، واضجعنا
 لننام . وقال قائل : هو الرسول يطرق . فضحكنا قائلين : لا ، انه الريح !
 علت ضجة في جوف الليل ، وفي نومنا ظنناها الرعد البعيد . اهتزت
 الارض ، ومادت الخدران ، واضطربت في نومنا . وقال قائل : هو صوت
 الدواليب . اما نحن فتمتينا في سباتنا قائلين : لا ، هذا دوي اليوم !
 وكان الليل لا يزال حياً ، عندما دقت الطبول ، وعلا صوت هتافاً :

استيقظوا ، ولا تتأخروا ! امسكت قلوبنا بأيدينا ، واضطربنا خوفا . وقال
قائل : انظروا ، ها راية الملك ! فانتصبنا على اقدامنا صارخين : لم يبق لنا
وقت نضعه !

حاء . ملك . وسكن ابن الاوار ، ابن الاكابر ؟ ابن العرش نجلسه عليه ؟
يا لعار ، يا لعار الاكبر ! ابن القاعة ، ابن الزينة ؟ قال قائل : ما نفع
الشكوى ؟ حيوه بأيديكم الفارعة ، واستقلوه في غرفكم العارية !
افتحوا الابواب وقرقموا دلاصدا . في اعماق الليل ، رار الملك ، مزلنا
امضلم الموحش ارفع يقصف في الدماء ، والطلاء يرتعش مع الهزق . هاتوا
الحصن المرق ، ومدوه في فناء امدار . قد اتى ملكنا فجأة ، على اجنحة
العاصفة ، وفي الليل الرهيب .

٥٢

أعجبني اكيل النرد في جيبك ، ولكن ، اجسر على طله . لداك
انتظرت الصبح ، ورجيتك عن ، عساني اجد اثرأ منه على سريرك .
وكاد دالة كنت انحت سحراً ، علي اثر على ورقة صائفة ، او ورقتين .
ولكن ماذا وجدت ؟ واي اثر تركه جيب ؟ لم تترك زهراً ، او عطراً
او طيباً ، بل تركت سيفاً صلباً ، لأمماً كاللهيب ثقيل كالساعة . الصباح
يطل من النافذة ، وينير سريرك بالضياء الاول ، والطير يغرد سحراً
ويسألني : يا امرأة ، ماذا وجدت ؟ لا ، لم اجد زهراً ، او عطراً ، او طيباً ،
بل وجدت سيفك ارهيب

ما ادهش هبتك ، وما اعربها ! من لي بتلك اختي . فيه لي خجلة
من تقلد سيفك ، انا النخيلة ، ويجرحني ان ضمته الى صدري ومع ذلك
هبتك شرف لي ، وسيماني القلب عناء حملها

مند اليوم بن يحيفني شي . في هذا العالم ، وفي خصوصاتي سالتصر بك .
وهبتي الموت رقيقاً ، فسوف اكمله بجياتي . سيفك افري قيودي ، ومن
اخاف في هذا العالم شيئاً .
مند اليوم ساطح كل زينة مطلة . يا ملك قبي ، لن اعرف بعد الاشطار ،
ولا السكاء في الزوايا ، لن اعرف الحياء ولا الاطفة الناس . زنتني بسيفك ،
فالي بعد ولينة الالاب^(١)

٥٣

فتان سوارك اردان^(٢) بالنجوم . المنقوش بربوات الحواهر الملونة . وكن
سيفك اوتق منه ، سيفك اعقوف الالامع ، كانه طير^(٣) الاله (فيشنو)^(٤) ،
وقد لسط جناحيه مستويًا فوق هيب العروب المحتدم .
لسيفك ارتدش ، كانه اخر^(٥) نضات الحياة - في ذهول الالم - ردى
اخر صدمات الموت ، وفيه لآلاء كانه هيب الوجود انصالي ببتهم سميره
احساسا الديوري
فتان سوارك المنقوش بحواهر النجوم . ما سيفك ، يا سيد الرعد ، فقد
صيع من جمال دهر ، يشق المعكر ونضر من التطلمع فيه .

٥٤

م اسنك شيئاً ، او يرعج امحي ادنيك ، وعدم . ورقتي ظلت صامته .
كنت وحيدة قرب العين ، في حل الشجرة الماثلة ، بينا النساء يعدن الى
بيوتهن بالجوارر الملائى ، احرار الترابية السمراء . وكن يدعوني هاتفت :

(١) فيشنو هو الاله برهما ، من حيث هو حافظ للاشياء .

تدلي معن ، فالصبح قد مضى ، ودد حرا هواجر . وكنت اقاهر متثقلة ،
تائه بين شتى الاحلام .

اقلت ، وما سمعت خضاك . بعيني كنيستين قطوت الي ، وصوت
تعبان همست قائلا : اه انا سائح عطشان ! نفضت احلامي ، وسكبت من
جوتي ، في راحتك . وجبت فوق رعدة بين اوراق الفصون ، وشدا
الكوكو في الطل ، ووح عطر الطلح من معطف الطريق .

سألني عن اسمي ، فبت خرسا ، فحلى لا ماذا عمت تذكرني ؟
على اني عنده افكر في رويت في طمك ، تغمر الصدوبة قلبي . اصبح
مضى ، والطير يردد ابدأ لحنه النمل ، واوراق السنين توسوس فوق ، وصل
جامدة التأمل ، واقام .

٥٥

لا يزال قلث في حول ، وعيد في نفس .
اما سمعت بان الزهرة تملث هبة بين لاشوا ؟ استيقظ ! استيقظ ! ولا
تضع الفرصة السانحة .

عند نهاية المسلك اوعر ، وفي بلاد الوحدة العذراء ، ينتظر صديقت
وحيدا ، ولا تحجب انتظاره ، استيقظ ! استيقظ !
وإذا خفق الجوى وماج في حر الهوجر ، وإذا خيم الضم فوق ارمال
الحرقة ، ولا تشعر بالسرور في اعرق الفس ؟ ليس للطريق فاي ، يتدفق
منه نغم عذ ، عذب ، مدى كل حطوف من خفك ؟

٥٦

لي وجدت عبطت الكلمة ، ونحوي هبت . لا ، ما كان حدث ،
يا سيد السموات كلها ، لو لم اكن في الوجود ؟

اشركتني في عناك . في قلبي تنعم بغرور دائم ، وفي حياتي تتجدد
ارادتك اشكالا واشكالا .

لذلك اكتسيت بالجمال ، يا مدث الملوك ، تسبي فؤادي ، ولذلك يستحيل
حس هياماً بحبيبتك ، ونتجده كلانا في اجلي وصل .

٥٧

ايها النور ، نوري ، يا عمراً يملأ الكون ، واثمة على العين ، وعبطة
في القلب !

آه ! النور يرقص ، حبيبي ، في قلب حياتي . النور يغرف ، حبيبي ، على
اوتار حسي . السماء تنفتح ، وريح تسمى نافذة ، والضفدع يحجب الافاق .
على يمين النور تسلط المراشعة جناحيها ، وعلى ذرى امواجه يتعالى الزنبق
والياسمين .

النور ، حبيبي ، يتكسر دججاً على كل عيمة ، وينثر الجواهر نثراً .
الخبور يشيع ، حبيبي ، من ورقة الى ورقة ، والسرور يسر له حذاً .
نهر الماء غمر حفافيه ، ومرج الفرح جار الضفاف .

٥٨

ايصدق نشيدي الاخير بكل نبرات الفرح :
الفرح الذي يهز الأرض فتفجر عشباً متدافاً كثيفاً ،
والفرح الذي يلج الحياة والموت ، ويرقص توأماً على مسرح العالم العسيف ،
والفرح الذي يهب مع العاصفة ، فترتعش كل حياة ، وتستيقظ ضاحكة ،

والفرح اندي يرقد هدند وسط دموعه ، في زهرة الالم الحمراء ، زهرة
الهندقوق لفاغمة ،
والفرح اندي يبعثر كل م. معه في ترب ، ولا يدري .

٥٩

جل ، يا حبيب القلب ، ان هو الا حبك هذا النور اندهي ثراقص
على الفصوص ، وهذه الفيوم الكسلى السحة في لفضاء ، وهذا اسيم الراكص
منعشاً مني الجبين .
في نور الصباح ، رسوبك الى قلبي ، غمت عيني . من شاعق الخنى
نحوي محبك ، وعاصت عيناك في عيني ، ولمس قلبي قدميك

٦٠

على شاطئ العالم اللامتناهية طفل يحشدون . المضاء الساكن يتند
رحباً فوق رؤوسهم ، والقمر الخائج لا يقر له قرار . على شاطئ العالم
اللامتناهية اطفال يحشدون ، ويهتفون ، ويرقصون .
يسون بيوتهم من ارملة ، ويلعبون باحد فم فرعة . من الاوراق اليسة
سوتوا مركباً ، ورموه باسمين على اليم العميق . لاطفال يلعبون على
شاطئ العالم .
لا يحسنون السباحة او القاء الشباك . بغوص الضياد على لآله ، ويبحر
التاجر على مراكبه ، بين الاطفال يجمعون الخصى ويبعثون . لا يسحشون عن
كتر مخفي ، ولا يحسنون القاء الشباك .

الموج الصاعد يضحك ، ويبسم شعاع الشاطئ . الشاحب . الامواج المثقلة
بالموت تُنشد الاطفال الاهازيج كلها ام تهدد طفلها . الموج يلعب الاطفال ،
ويبسم شعاع الشاطئ . الشاحب .

على شواطئ . العوالم اللامتناهية اطفال يحشدون العاصفة تدور في
الجو على غير هدى ، والسفن تعور في اليم معدومة الاثر ، والموت جواربة
يترصده ، والاطفال يلعبون على شاطئ . العوالم اللامتناهية حشد من
الاطفال عظيم .

٦١

هذا النعاس امرفوف فوق عيني الطفل - ايدري بشر من اين جاء ؟
نعم ، يقولون انه يسكن قرية مسحورة ، بين ظلال الغاب القاتم ، حيث شع
نور الجاحب ، واحمي برعمان حيان فائد : من هناك جاء النعاس يلثم
عيني الطفل .

هذه الابسامة المانحة على شعني الطفل انائم - ايدري شر اين ولدت ؟
نعم ، يقولون ان شعاع شاحب ، من اشعة الهلال ، لمس حاشية غيمة واهية
من غيوم الحريف . وعلى حاشية الغيمة ، في حلم صبح نديان ، وست
ابسامة ، الابسامة المانحة على شعني الطفل النائم

هذه النظارة الخلوة الميناء ، الزاهية في اعضاء الطفل - ايدري شر اين
خبث طول هذا الزمن ؟ نعم ، يقولون انها كانت سر حبيب رؤوم ، سر
صامت ، شائع في قلب الام ، يوم كانت فتاة عذراء . في قلب العذراء ،
كانت النظارة الخلوة الميناء ، الزاهية في اعضاء الطفل

عندما أتيتك بالالعاب الملونة ، يا بني ، افهم لماذا تفرح الالوان فوق الغيم
والماء ، وتلوح في ثناء الزهور - عندما اعطيتك الالعاب الملونة ، يا بني .
عندما اعنيك لترقص ، اعرف حقاً لماذا تهزج الموسيقى في الاوراق ،
ويلج نشيد المروج الى احشاء الارض الناصتة - عندما اعنيك لترقص .
عندما تلتهم يداك ، احمه من اقراص الحلوى ، اعلم لماذا يتدفق العسل
في كمن الزهور ، والعصير الحلو في صدر الثمر - عندما تلتهم يداك ما احمه
من اقراص الحلوى .
عندما التم بحياك لتسم ، عزيزي ، افهم مهم اليقين اي لذائد تسكبها
السماء في الصباح المنير ، واي هنا يحمله نسيم الصيف الى جسدي - عندما
الشمك لتبتسم .

عرفتني باصدقاء كنت اجهلهم ، وادخلتني ميوقاً غير بيتي . البعيد
ادنيته ، والغريب جعلته لي اخاً .
يضطرب قلبي عند معادرتي البيت القديم ، كأن العابر ليس حياً في
الآتي ، وكأنك لست حيث اسير .
في الولادة والموت ، في هذا العالم او في عوالم اخرى ، انى تقدر خطاي ،
يا رفيق حياتي اللامتناهية ، رفيقي الدائم الوحيد ، فسلاسل هارجة تشد
قلبي الى عالمي الجديد .
ليس لمن يعرفك غريب ، ليس من بابذ مقفل . الا استجب صلاتي ،
ولا تحرمني عطة لمسك واحداً بين قمرج الكثير

على منحدر النهر الموحش ، وبين الاعشاب المتعالية ، سألتها قائلاً : « ايتهما العذراء ، الى اين تذهين بمصباحك ، واقيةً يوشحك بوره ؟ ان بيتي مظلم موحش ، الا اعيريني هذا النور ! » . فرفعت نحوي لحظة عيبتها القمطين ، وحدقت بوجهي في نزع النهار ، ثم قالت . « انا ذاهبة الى النهر ، كي اسلم مصاحي لثيأره ، عند غروب النهار » . وبقيت وحدي بين الاعشاب المتعالية ، اتأمل نور مصباحها الضئيل ، التائه سدى في عرض ذاك التيار .

في صمت الليل المتكاثف ، سألتها قائلاً : « ايتهما العذراء ، كل انواركم مشعلة ، فإين تذهين بمصباحك ؟ ان بيتي مظلم موحش ، الا اعيريني هذا النور ! » . فرفعت نحوي عيبتها القمطين ، وضئت هنيئة متوددة ، ثم قالت : « اتيت لاقدم مصباحي للسماء » . وصعدت جعداً اتأمل ذاك النور يحترق سدى في الفضاء .

في ليل غاب قره ، في نصف ذاك الليل ، سألتها قائلاً : « ايتهما العذراء ، عم تبجثن هكذا ، حاملةً مصباحك قريباً من قلبك ان بيتي مظلم موحش ، الا اعيريني هذا النور ! » فوقفت دقيقة ، وفكرت ، وحدقت بوجهي في الظلام ، ثم قالت : « حملت نوري هذا لاشترك بعيد المصابيح »^(١) وظللت اتأمل مصباحها الصغير الضائع سدى بين الابرار .

اي شراب سحوي ترحوه ، الهي ، من كأس حياتي الملائن ؟
 اهده لذلك ، يا شاعري ، في ان ترى خلقتك بصيني ، وتقف صامتاً ،
 ناصتاً لخالقك الابدية ، على باب ادنى ؟

(١) هو عيد شمسي .

في عقلي يتظم الكون كله ، وفروث يذب فيه سمه . نهني
داتك حباً ، وفي تحسس غدوتك الكاملة

٦٦

تبت التي سكنت دانه اعماق كيبي ، في شاحب الشعاع والوميض ، والتي
لم تسفر يوماً في نور الصبح ، لفها بشيدي الأخير ، يا الهي ، واقدمها لك
تقدمة اخيرة .

كلام توددو اليها ، واخفقوا ، والاقنع الشهوان عشاً يد نخوه دراعيه .
جبت من بلاد الى بلاد ، وحضتها في لبرقني ، وحولها تواجت حياتي
مداً وجزراً .

هي مليكة فكري واعدي ، مليكة بومي واحلامي ، ومع داك تبليت
منزلة وحيدة .

كثيرون ضرقوا بالي سائين عه ، ثم عدو يائسين . لم ير وجهه لشر
في هد الهه ، وهي تنتشر وحيدة عساة تذكره .

٦٧

انت السماء ، وانت المهد ايضاً .
يا كني الحلال ، في مهدي هذا ، يغمر حث نفسي دلاون والانغام
والعطور .

الصبح يسمى صاهة ، حاملا بيمينه ساه ذهبية ، ملائي برهور الحلال ،
ايذب بها الارض .
واساه يسلث سلا عدراء الى الرعي المفردة ، التي هجرها القطيع ،

حاملاً في ابريقه الذهبي شراب الهدوء المنعش ، شراباً استقاه من بحر الهدوء الغربي .

اما هناك ، هناك حيث تنبسط السماء لامتناهية لتحلق فيها النفس ، فخلت الضياء الصافي ناصع . ليس ثمة يل أو نير ، او شكل ، او لون ، وليس ثمة كلام ابداً ، ابداً

٦٨

الى شواي الارضي هذا يهبط شعاع شمسك باسطاً ذراعيه ، ويقف امام بابي مدى نهر حياتي ، ملهاً عيماً يتصاعد من دموعي ورفراتي وانشيدي ، عائداً به لدى قدميك .

بدمع العاشق ، نكسو صدرك ، المرصع بالنجوم ، هذا العيم الشفاف ، ثم تطويه وتشره اشكالاً شتى ، واصابعاً متبدلة
انه رداء وامر خفيف ، رداء لدن قائم نديان . هذا نحن انت الطاهر الهادي . لهذا تخفي في ظلاله الرائعة رهبة بورك الصافي .

٦٩

ان الحياة المنسوجة ، الزاخرة في عروقي نهاراً وليلاً ، هي نفسها ترخر في الكون نبأضة ، موزونة ، راقصة .
وهي نفس احياة الطروب تشق اديم الارض نساءً غضا ، وتتدفق كالوج الهائج ورقاً وزهراً .

وهي نفسها تتأرجح مداً وجزراً في اليم ، مهدر الولادة والموت .
هو محد لاعضائي ان الامر عالم الحياة هذا ، وهو مخز لي ان ترقص في دمي ، الساعة ، حياة خفقت بها الاجيال .

ايقوتك ، يا رب ، ان تشترك في هجرة هذا الهزج ، وان تطفر تنها في
 الفضاء ، مخطوفاً في زوينة هذا العرج الهائل ؟
 كل شيء تيارٌ مندفع ، لا يلتفت الى الوراء ، او تستطيع قوة ايقافه -
 كل شيء تيار
 على نعم هذا الهزج السريع المتصل تجري العصول راقصة متعاقبة
 والالوان والانعام والمطور تتدفق شلالات ابدية في فيض هذا العرج ، الفرج
 الذي يتناثر ابدأ ، فانها ، مندثرة .

ان يمُ كياني اساقى ، منتشراً في كل جانب ، ناسطاً على سذك ظلالاً
 ماونة - هناك حقيقة « مأك »^(١)
 على كيانك تسدل قناعاً ، وبريات الانعام ندعو كيانك المحبوب .
 وان ازدواجك هذا قد تجسد في .
 يتدفق عناؤك الشجي وتمكسه صفحة السماء دموعاً ماونة وابتناءات ،
 او تمكسه املاً وخوفاً . موجات تهاو وتندثر ، رؤى تتصدع وتلتئم . انا
 موعدٌ وغىٌ تصرع فيه نفسك بنفسك .
 وحائبك هذا المسدول ترينه ريشة الليل والنهار بالآف الرسوم .
 وراءه حكمت عرشك من عجيب اسلاك ملتوية سرية ، طارحاً كل خطر
 مستقيم صريح .

(١) مأى هي عالم الوم المحسوس ، الذي يحجب عن الكائن الحقيقى الوحيد .

في مهرجان عظيم اتهادى واياك عرض السماء . الهواء يرتعش على ائتلاف
اغانيك ، وتتعاقب الاجيال بيننا نتسر ونتطارد .

٧٢

هو نفسه ذاك الوحيد ، ساكن الاعماق ، الذي يوقظ اعوار كيانني
بلهسه الخفي .
وهو نفسه يغمر عيني بسحره ، ويوقع طرباً على اوتار قلبي انغاماً شتى
من فرح ومن غم .
وهو نفسه ينسج من « مياه » راتل اصابعه ، اصباعاً ذهبية وفضية ،
زرقاء وخضراء ، ثم تلوح قدماءه من ثنانيا النسيج فالمسهما ، واعيب عن نفسي .
تيرا الايام وتفتي الاجيال ، وهو اندأ يثير شعوري لاسم او شكل ، لرعدة
فرح او غم .

٧٣

لا ارى النجاة في الزهد ، والي لاشعر بمناق الحرية ، وانا مكبل
بالاف اللذائذ .
ان كأسني الحزني هذا ليطلع بدفق خمرتك المنعشة ، الحافقة دلاوان
والعطور .
من له نورك يشعل عالمي مثات مهابيحه ، ويزينها مذبج هيكلك .
لا ! لن اعلق اندأ ابواب حواسي ! وانها غبطة لك ان تعشى اللذائذ
نظاري وسمعي وملحسي .
احر ، ككل اوهامي ساحرقها شعلة راقصة ، وككل مناي سننضج
نمار حب .^(١)

(١) يعرف في هذا الشيد تنوع من الزهد الهندي يقوم على قتل كل ميل في الانسان ،
حتى كآب ام بيت .

زال النهر ، وعشي الارض السلام . انها سعة ورودي التيار لاملأ
الابريق

يعلو من امان نعم كتيب ، وذا هواء المساء شهون ، ود هو يدعوني
خارجاً الى السلام . الطريق قمر لا بقاء ، عا ، واريح هنت عاصفة ، واول واج
تلتصب عرض النهر .

ترى هل اعود ؟ وما عني الحظ يجني . لي من مواعيد ؟ هك ، قرب
مهم النهر ، وفي الزورق الصغير ، يغترف ارحل المحلول على عوده .

تشع هاتك كل رعاشنا ، نحن البشر ، ثم تعود كاملة اليك
يتم اجول عامه اليومي ، مسرعاً بين القرى والحقول ، ولكن سيلاه
المواصل ينشئ الى غسل قدميك .

عبير الزهرة عدوبة في الهواء ، ولكن نعمها الاخير تقدمه ذاتها .
عبادتك لا تفقر الكون .
في قصيدة الشاعر يرى الناس ، يروقهم من معان ، اما عندها بعيد
فابعاء اليك .

اقف يوماً بعد يوم ، ياسيد حياتي ، اقف امامك ، وجهاً لوجه ؟ ياسيد
العوالم ، اقف امامك ضارع اليدين ، وجهاً لوجه ؟
تحت رحمة سحائبك ، في صمت الوحدة ، واتصاع القلب ، هل اقف
امامك وجهاً لوجه ؟

في عالمك الشق هاء الصغرى ، والصرع ، وسطاً جلبة الجموع ، هل
 اقف امامك وجهاً لوجه ؟
 وعندنا انهي عملي في عالمك هذا ، يا ملك الملوك ، هل اقف امامك ،
 صامتاً وحيداً ، وجهاً لوجه ؟

٧٧

اني اعرفك الهأ لي ، وابتعد عنك - وست عرفك ، ملكاً لي فاقرب .
 اني اعرفك اباً ، واحشو لى قدميك - ولست آخذ يدك كأنها يد صديق .
 انك تطلأ ارضنا لتعني نفسك ولست انيا لاضنك الى قلبي ،
 واتخذك رفيقاً .
 انت الاخ بن اخوتي ، ولست اعنى بهم ، او اقسمهم ارباعي ، وقد كنت
 هكذا كل مالي .
 ساعة اللذة والالم ، لست اذير من الشر . وادو هكذا منك . است
 اكفر بجيأتي فاعرض في حضرة الحياة الريح

٧٨

في فجر الخليفة ، حين سطعت النجوم كلها في سماء البكر ، التأم
 الالهة في السماء وهزجوا : « ما اكله رسا . واصناه هاء ! » .
 انما بفتة هتب احدهم : « احس ثنرة في جدول النور هذا ، وان نجمة
 قد ضاعت » .
 عودهم انئت اوتره الذهبية . وعناؤهم انقطع . وصرخوا مذعورين :
 « كانت اجمل النجوم تلك النجمة الصائفة ، وزينة السماوات ! » .

من ذلك اليوم وهم يبحثون عنها ، ويتوهون واحدا بعد آخر : « ضياعها
 فقد العالم هناه الوحيد » .
 ولكن النجوم ، في هدأة الليل العميقة ، تبسم متهامة : « باطل ههنا
 البحث ! الكل كمال متصل » .

٧٩

ان لم تُفتح لي بقيق في الحياة ، فلامن ابدأ على فوات
 رؤياك ابدأ لا انساء لحظة ، وتنفض حرقه ذكراه يقظتي واحلامي .
 في قول ايمي بين رهط المتاجرين ، وتمتلي . يدي اربحا يوما بعد يوم ،
 لاشعرن ابدأ بني لم اربح شيئا شعورا لا انساء لحظة ، وتنفض حرقه
 ذكراه يقظتي واحلامي .
 عندما اقف على حافة الصريق تعنا لاهتا ، وسوي في التراب مضجعا ،
 لاشعرن ابدأ بان سفري لا يزال طويلا شعورا لا انساء لحظة ، وتنفض
 حرقه ذكراه يقظتي واحلامي
 عندما تزدان عربي ، وبدوي يهزج الناي والقهقهات ، لاشعرن ابدأ باني لم
 ادعك الى بيتي - شعورا لا انساء لحظة ، وتنفض حرقه ذكراه يقظتي واحلامي .

٨٠

اني كبقعة غيم ضائعة في سما الحريف . فتى ، يا شمس السناد الحاد ،
 يذيب لمثك ضائي ، فاتخذ بنورك ؟ اني لاحسب شهورا سمري ، واحسب
 اعواما تفصلني عنك .

ان لذكّ لك وطاب ، فانه بي ، اقبض على كياي المتقلب الحالي ، وزنه
بالالوان ، واطله بالذهب ، ودعه يسبح على الريح الشهوى ، ويتناثر آيات وايات .
ثم اذا طاب لك ، عند حلول الليل ، ان تكف عن هذا اللهو ، ففي
ساذوب ، واعور في الظلام ، او قد اغور في ابتسامة الصباح النقي ، في صفاء
الظهر النديان .

٨١

كم مرة ، في ايام كسلي ، بكيت الوقت الضائع . ولكنه لم يضع ، يارب ،
فقد لامت يداك كل لحظة من لحظات حياتي .
احتجبت في قلب الاشياء ، تغدي البذرة حتى تنبت ، والهرعم حتى يزهر ،
والزهرة البالغة حتى تشمر .
غفوت تعباً على سرير كسلي ، وتوهمت كل عمل انقطع . وحين استيقظت
صباحاً ، وجدت حديقتي ملأى بالبدائع والزهور .

٨٢

وقتك لامتناه ، يارب ، وليس من يحسب عليك ثوانيك .
تنفذ الايام والليالي ، والاجيال كالزهور تزهر وتذوي ، وانت هادي .
تنتظر .
الاحقاب تتوالى كي تكتمل زهرة الصحراء النجيلية ، اما نحن فليس لدينا
وقت نبذره ، ليس لدينا وقت ، فيجب ان نمكّد لنذكر ما لنا من حظوظ .
انا لا أفقر من ان نتاهل .
اني انفق وقتي على كل شاك يدعيه ، بينما يظل مذبحك خالياً من
القرابين ، عارياً .

عند المساء اجده في العير ، تلا اجده بابك مطلقا . ومع ذاك لا اطن
الوقت فات .

٨٣

دموع كآبتي لآلى ، سانظنها لك عقداً ، يا امام .
النجوم تحرك نورها خلاخل لينة قدميك ، اء هديتي فزينة على صدرك .
منك الغنى والجاه ، تمنين من شئت وتحوين . اما كآبتي هذه فني
وحدى ولي ، احملها اليك هدية ، وانال منك ثوانا .

٨٤

هي غضة الوداع تشيع في الكون ، وتبدع شئ الاشكال في
لامتناهي الفضاء .
وهي كآبة الوداع ترنو صامته ، مدى الليل ، من نخم الى نخم ، وتحول
نعماً بين الاوراق الموسوسة في ظلمة تموز الماطر .
وهو هذا الالم الطامي ينشئ المنزل الشرية ، فيعشق فيها حباً ومنى ،
احزاناً وافراحاً ، ويلج قلبي ، انا الشعر ، يذوب فيه دفقاً من الاناشيد .

٨٥

اي اخفى الجنود قوتهم ، يوم غادروا قصر رتهم ؟ اين كانت
هدتهم وسلاحهم ؟

كانوا كفقراء عاجزين ، وكانت السهام تنساقط عليهم ، يوم عادروا
قصر ربههم .

ابن اخي الجنود قوتهم ، يوم آتوا الى قصر ربههم ؟
رموا السيوف ، ورموا القسي والسهام . خافوا وراءهم ثمار حياتهم ،
وتألق جبينهم بسلام ، يوم آتوا الى قصر ربههم .

٨٦

على بابي ، ايها الموت ، وقفت جاريتك ، وقد عبرت البحر المجهول ،
حاملة دعوتك الي .

الليل هيم ، وقلبي واجف ، ولكنني سأتناول المصباح ، وانخني امامها
مرحبا : هي رسولك الي ، هذه الواقعة على بابي .

سأف خاشعا لديها ، واكرمها بدموعي ، ساكبا كثر قلبي على قدميها .
وانها ستعود اليك ، وقد اتمت رسالتها ، تركة على صباحي ظمأها القاتم .
ويخلو بيتي المنجوع ، ولا يبقى لي سوى نفسي ، اقدمها لك قربانا اخيرا .

٨٧

آيسني الانتظار ، فذهبتُ بحث عنها في كل زوايا منزلي . ولكن لم اجدها .
ان منزلي ضيق ، وما املت منه مرة ، ان استطيع استرجاعه ابدا .
اما قصرك فوحب ، يا رب ، وبيننا انا انبحث عنها ، انتهيت الى بابه .
تحت قبابيد مسائك الذهبية وقفت ، والى محياك رثت عينايا .
لقد بلغت شاطئ الابدية ، حيث يمان كل شيء . - كل امل ،
وكل امل ، وكل رؤيا وجع لاح في كدرة الدموع .

الا اغمر في هذا الحُضْمَ حياقي الفارعة ، وعصر بها في اعماقه المترعة .
دعني احس مرة في الكون ، كل الكون ، هذا اللبس العذب الضائع .

٨٨

يا اله الهيكل الحرب ، ن اوتار العود المقطوعة لن تغزف تسايحج ،
واجراس المساء لن تطن ساعة عبادتك ، واهواء سيلفت بصته ا
الى مثلك الموحش يلج نسيم الربيع الشريد انه ينقل اليك انباء عن
الزهور - عن زهور لن تقدم بعد اكراما لك .
عاندك القديم تانه ابدا مشتاق اثر نعمة ممنوعة . وحين يحل المساء ،
وتتج الاوار والظلال في عتمة الفس ، يعود حزينا الى هيكلك الحرب ،
والعز في قلبه .

كم عيلا لا يحمل اليك سوى انصت ، يا اله الهيكل الحرب ا كم
ليل ، معد لبادتك ، ينقضي ولا يشعل فيه . صباح ا
كم رسم جديد ابدعته يد الفنان الدهر ، وجرفه تيار النسيان المقدس ،
عندما حان الوقت .

اما انت ، يا اله الهيكل الحرب ، فتقى على الدهر ، مهلا ، غير مهود .

٨٩

صرت تحوم ، يا رب ، احدث الصخب ، والصوت العالي . لهذا ساعد
الى الوشوشة ، واتابع حديث قلبي في اعنية هامة .
بتهافت الناس نحو سوق الملائك ، وقد حضر الباعة وحضر الشراء .
اما انا فسرحت من العمل قبل الاوان ، في نصف النهار ، واقصى الكد .

دع اذاً زهورَ حديقتي تفتح قبل الاوان ، ونحنَ الظهيرة ينشد طنينه
الكسول .

انفقتُ ساعاتٍ عديدة في الصراع القائم بين الخير والشر ، اما الان فيند
رفيقُ ايامي الفارغة ان يدعو قلبي اليه ترى ما هذه الدعوة المفاجئة ؟ وما هذا
الانقلاب الباطل ؟

٩٠

ما عساك 'تهدي للحياة' ، يوم تقزع بربك ؟
اه ا ساضع امام راثرتي كورت حياقي الملائن ، ولن اسمح ابداً بن تعود
فارغة اليدين .
كرر ما جنيته من خلو العنب في ايام خريبي وليالي الصيف ، وكل ما
كسبت من كدر الحياة وحصت ، ساجعه هدية في نهاية ايامي ، يوم تقزع
المنية باي .

٩١

ايها المنية ، منبثي ، يا خدعة حياقي ، تعالي الي واهمسي في اذني ا
في انتطارك سهرت الايام ، ولاجلتك عانيت افراح الحياة واحزانها .
لقد سمعت سرّاً اليك ، انا وكل مالي ، واملي ، وحيي . هي لحظة
اخرى من عيبك ، وتمسكين حياقي مدى الابد .
لقد ضفروا الزهور ، واحضروا الاكليل للعريس . بعد العرس ، تهرج
العروس منزلها ، وتلقى مولاه وحيدة ، في خلوة الليل .

أنا أعلم أنه سيأتي يوم تغيب فيه الأرض عن نظري ، وتنسل مني الحياة
دون جلبة ، مسدلة آخر ستار على عيني .

ومع ذلك ، ستطل النجوم - هرة في الليالي ، ويطل القمر كالبارحة ،
وتتفتح الساعات كأمواج البحر حبل بلادة والالم .

عندما أفكر بنقضاء لحظات حياتي ، تندثر حواجز اللحظات ، وأرى على
نور الموت كل ما في كونك من كنوز اسلال . أحقر متزل فيه جميل ،
وابنض حيازة عزيزة .

ألا ازهدى ، يا نفس ، بكل ما اشتيت من حبات رطلة ، وملكت .
وتدك الحبات الحقة التي احتقرتها ، أبدأ واعلت ، ها وحدها تعاقني .

لقد سرحت من الخدمة ، فتمسوا بي ، اخوتي ، سفرأ ميمونا ، واذنوا
لي بالرحيل .

ها نا اعيد المفاتيح الى بئر مبري ، متجنباً عن كل حق عليه .
زودوني فقط ، عند الفرق ، ببعض كمت حلوة .

لقد تجاوزنا طويلا ، واخذت منكم فوق ما استطعت ان اعطي .
والان لقد اطل الفجر ، ونفذ نور المصباح ، النور الذي اضاء زاويتي المصلحة .
ان صوتاً يدعوني ، واني لستعد للرحيل .

هذه ساعة الرحيل ، فادعوا لي بالتوفيق ، انتم يا احبابي ! الفجر حمرة
شائعة في السماء ، والطريق فسيحة ساحرة
لا تسألوني عما احمل اني اسافر فارغ اليدين ، طافح القلب بالامل .
باكليل العرس رنت جيني ، وخليت رداء السائح الاغبر . كثيرة محاطر
الطريق ، ولكن قلبي لا يخامره خوف .
في نهاية سفري ، تطلع نجمة المساء ، ومن تحت رقيب الملك تعلو
نغماته الشاكية

لم اع حطاة اتيت فيها الحياة . الا اي قدرة فتحت عيني على هذه
الارضاء المجهولة ، كما تتفتح زهرة العاب في قلب الليل ؟
عندما ابصرت عياني نور الصباح ، لم اشعر بغربة على هذه الارض .
وما كنت اجهله شكلاً واحماً ، احسسته اماً تضمنني بين ذراعيها .
عند موتي ايضاً ، سيلقاني نفس لجهول كصاحب قديم ، وساحب الموت لاني
احب الحياة .
يصرخ الطفل حين تسلبه الام امين ثديها ، ويرضى بعد حطاة ناهلاً
ثديها الآخر .

يسكن هذا وداعي للدنيا ، حين ابرحها : لا احمل مما رأيت !
لقد ذقت عمل الحندقوق الخفي ، الحندقوق المتهادي على خضم
النور ، وكان ذاك بركة لي - ليكن هذا وداعي للدنيا

لقد لهوتُ في هذا القصرِ الفنى بالاشكال ، وابصرتُ من ليس له شكل .
لقد لمستُ غير الملموس ، فارتشيتُ مني الاعضاء والجسد . اه ! ان كان
حان الاجل ، فليحل ! - وليكن هذا وداعى للدنيا .

٩٧

عندما كنا نلعب معاً ، لم اسألك يوماً من انت . كنتُ اجهل الحياء
والخوف ، وكنتُ حياة هوحا .
ببساطة الرقيق ، كنتُ توقظني في الصباح ، وتجذبني وراءك عدواً بين
فمسحات الغاب .
في ذلك الوقت ، ما كنتُ لاهتمُ بنى اعان تغنيها لي كان صوتي
يردد الحانك ، ويرقص قلبي على ايقاعها .
اما الان ، وقد فرغنا من اللعب ، فاي رؤيا تفاجئني ؟ ان العالم ، بكل
ما فيه من نجم صامت ، واقف برهة ، خافض طرفه الى قدميك .

٩٨

سأزينك بالاسلاب ، باكايل هزيتي واني ابدأ مغلوب في صراعي معك .
اجل اني اتوقع بثقة اندحار كبريائي ، واعرف ان حياتي ، في ذروة
العناء ، ستهدم حواجزها . اذ ذاك ستعالى من قلبي الفارغ ، كما من قصبة
جوفاء ، شهقاتُ تبكي الحصى القاسي .
اجل ان زهرة الخندقوق لن تبقى برعاً منكشاً ، بل ستنتفح عن كثر
هسلها المحبوب .

في السماء الزرقاء عينٌ تومقني ، وتدعوني سرا . لن يبقى لي شيء - أي شيء - وعند قدميك سألقى الموتَ الكامل .

٩٩

أنا أعلم أنك ستستلم الدقة ، حين أخليها ، وتعمل في لحظة ما يجب عمله ، وأنّ عنائي لباطل .
حينئذ ، خلّ الدقة ، يا قلبي ، وارض صامتاً عن هزيمتك ، واحسب من حسن حظك أن تستقر هادئاً حيث وضعتك .
اقرْ هبةً ريح تطفئ مصابحي هذه ، وفي جهدي لاشعالها انسى ابدأ كل ما سواها .
أنا هذه المرة ساكون حكيماً ، سانتظر في الظمة ، فارشاً حصيري في صحن الدار . فاذا راق لك يوماً ، يا رب ، ودنْ دون جلبه ، واجلس هنا هلى مقعدك .

١٠٠

اغوص في أعماق ميم الأشكال ، لعلي أصيب بالؤلؤة الفريدة ، العارية من كل شكل .
تركتُ السفر من مرفأ الى مرفأ ، على زورق تصفحه الأنواء . لقد مضى زمن كنت الهوبه في مصارعة الموج .
أني أصبو الآن الى الموت في حضن من لا يموت
في ردهة الاستقبال ، على شفير هاوية ، ليس لسمها غور ، ولا لموسيقاها
لحن ، سأتناول معزف حياتي .

على لحنه الابدى ، سا ضرب عليك ، معرفي ، وبعد ان تشهق شهقتك
الاخيرة ، ساضعك صامتاً عند قدمي الصمت .

١٠١

مدى حياتي ، سعت في ترك اعاني ، وما اهتديت من باب الى باب .
ها بحثت عن العالم المهدق بي ، وما احسسته ولست .
هي علمتني كل ما اعلم ، وهدتني السبل الخفية ، وأرتني في افقر قلبي
كواكب وكواكب .
وهي قادتني طيلة النهار الى البقع المجهولة ، به ع الددة والالم . اما الان ،
وقد حل المساء ونتهى سفري ، فعلى باب اي قصر عساها تنتهي بي ؟

١٠٢

امامهم واخوت معرفتك ، وفي كل اندي تبينوا رسمك . اتوا يسألوني
عنك : « قل لنا ، من هذا ؟ » . عييت عن اجواب ، ومن يستطيع حقاً ان
يجيب ؟ لاموني وانصرفوا هازئين . . . وبقيت معي باسم الشعر رضى .
حدثت عنك في اشيد خالدة ، وفاض قلبي بممكنونه . اتوا يسألوني
عنها : « قل لنا ، ما معانيها ؟ » . عييت عن الجواب ، ومن عساه يدرك ما
تعني ؟ انفسوا وانصرفوا هازئين . . . وبقيت معي باسم الشعر رضى .

اللهم ، أرفع حواسي ، ومرتعها في عمالك هذا ، موطني . قدميك ،
تحية لك .

كفيم تموز الماطر ، ينوء بالمرن المحروس ، لاخفضن رأسي على بابك ،
تحية لك .

تأثلف كل نفث اعاني لحنا واحدا ، يغور في يم الصمت ، تحية لك .
كسرب من الرهو ، الخ عليه الحنين ، فآب الى اعشاشه الجبلية ،
طائراً لا ينام ، لارحلن بجياتي الى مقوها الادي ، تحية لك .

تم

طُبع من هذا الكتاب ١٢٠٠ نسخة
مها ٢٠٠ على ورق « ريجستر »

وقت بعض اغلاط سهل عن القارئ اصلاحها

تم طبع هذا الديوان في العشرين من شهر ربيع

١٩٢٨

مطبعة المرصد بين الدساين
جوييه ، لبنان

26 FEB 2005

DATE DUE

J. LIB.

25 MAY 1978

J. Lib.

27 MAY 1987

JAFET LIB.

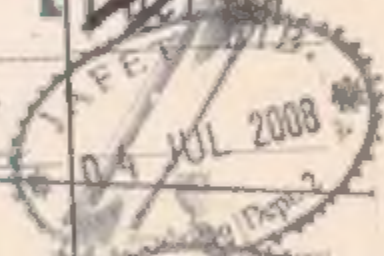
10 MAY 1988

JAFET LIB.

14 DEC 1993

JAFET LIB.

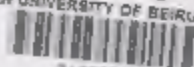
11 OCT 1991



قلمير، يوحنا (الاب)

قريان الاغاسي

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



21032009



